

العراقيون في مصر

في القرن السابع الهجرى

تأليف

الدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم

مدرس التاريخ الإسلامى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

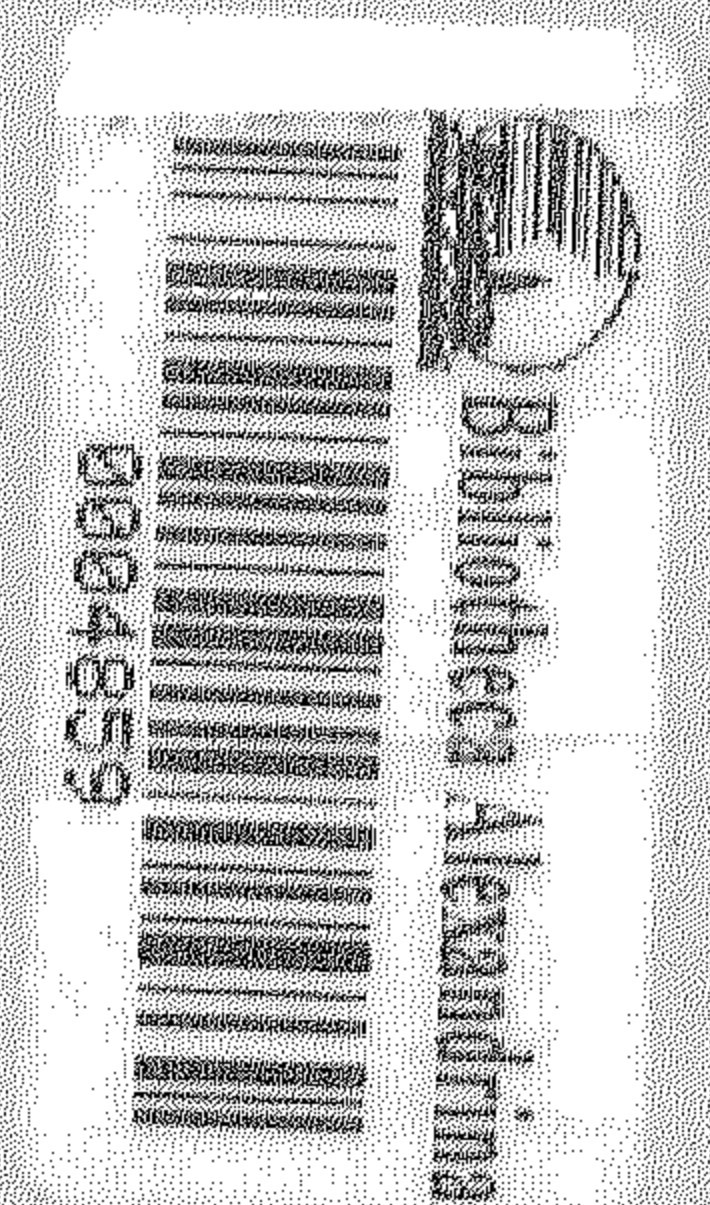
١٩٩١

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

للطباعة والنشر

٥ ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية



العراقيون فى مصر

فى القرن السابع الهجرى

تأليف

الدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم

مدرس التاريخ الإسلامى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٩١

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

للطباعة والنشر

٥٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى مصر ، الوطن

الى مَنْ خَلَقْنَا من ترابِها واليه نعود

الى مصر ، الأم

أمى ، وأم الشهداء

إليكِ يا مصر

من بنتٍ من بناتك

من نبضةٍ من نبضاتكِ

منى ، أنا ،

مزيج من طينك وماءِ نيلكِ

إليكِ يا منبت جذورى

يا أرض الأجداد

إليكِ يا مصدر فخارى وشموخى

يا أرض الحضارة ونبع الأمان ومقصد الأنبياء

أهديك روحى وحبى وانتمبائى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في الفترة من ١٤ - ١٦ فبراير ١٩٩٠ ، عقدت في مقر الحزب الوطني بالقاهرة ندوة موضوعها العلاقات العراقية / المصرية ، أشرف على اعدادها اتحاد المؤرخين العرب ببغداد ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي من الجانب العراقي ، وجامعة الزقازيق من الجانب المصري ، تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

وكان لى شرف الاشتراك فى هذه الندوة التاريخية الهامة بهذا البحث المتواضع .

وجاء اختيارى لهذا البحث من واقع التواصل التاريخى والحضارى بين مصر والعراق منذ اقدم العصور ، فقد كانت لكل من البلدين اقدم حضارة فى التاريخ ، وارتبط البلدان بمصير يكاد يكون واحدا لاسيما فى العصر الاسلامى ، عندما دخل كل من القطرين الشقيقين فى فلك الدولة العربية الاسلامية ، وشاركت العراق ومصر فى حوادث عصر الخلافة الراشدة والعصر الاموى ، وكانت للفسطاط وللمصرى العراق ، البصرة والكوفة دور هام فى نشر الحضارة الاسلامية وازدهارها الى ان قامت بغداد والقاهرة .

واذا كانت الظروف المذهبية والسياسية قد حالت بين التواصل السياسى بين الخلافة العباسية السنية والخلافة الفاطمية الشيعية ، فان الترابط الحضارى كان وثيقا بين العراقيين والمصريين ، فلم توصل ابواب العراق ومصر امام الوافدين اليهما من ابناء البلدين سواء بهدف التجارة او طلب العلم .

ولم يطل الانفصال السياسى اذ لم تلبث مصر الايوبية ان ارتبطت من جديد مذهبيا وسياسيا وحضاريا مع العراق ، الى ان كان الغزو المغولى

المدمر الذى قضى على الخلافة العباسية ، وعندئذ فتحت مصر ذراعيها
لتحتضن من لجأ اليها من أبناء العراق الشقيق ، وحملت على عاتقها
احياء الخلافة العباسية بالقاهرة .

وشهد القرن السابع الهجرى ذروة هذا التلاقى بين الشعبين فى
القاهرة . وكان لذلك أعمق الأثر لاختيارى هذا القرن على وجه التحديد
موضوعاً لبحثى .

لقد ركزت فى هذا البحث على الاسهامات التى قدمها الاخوة
العراقيون فى المجتمع المصرى فى هذا القرن . وليس هناك مجال للشك
فى الدور الهام الذى اداه العراقيون فى مصر اقتصادياً وعلمياً وادارياً .

ولا ينبغى أن نجحد فضل فنانى الموصل بالذات ، فى مجال
الصناعات المعدنية والخط .

ولعلى اكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع على نحو يصور مدى
وحدة مبكرة تمت بين شعبى وادى الرافدين ووادى النيل

واسأل الله التوفيق ،

الاسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٩٠

سحر السيد عبد العزيز سالم

بسم الله الرحمن الرحيم
العراقيون في مصر في القرن السابع الهجرى
واسهاماتهم في حضارة مصر الاسلامية

لم يكد القرن الخامس الهجرى يدنو من منتصفه حتى كانت الدولة العباسية تشرف على الانهيار ، بسبب توالى الحركات الانفصالية ، وتزايد قوة الدولة الفاطمية الشيعية واستفحال خطرهما على اراضى الخلافة العباسية .

وكان ظهور الاتراك السلاجقة فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى بمثابة دماء فتية تزودت بها الخلافة العباسية المتهالكة ، فبدلت ضعفها الى قوة ، فقد انساح السلاجقة من العراق الى شمال الجزيرة ، وتمكنوا من السيطرة على قبائل الكرد والارمن، واصبحت دولة السلاجقة (*) القوة الاسلامية الحقيقية التى كانت تبسط سلطانها على بلاد الشرق الادنى فى اواخر القرن الخامس الهجرى اذ اقنصر سلطان النناء فى عهدهم على مجرد الجانب الروحى (١) ، بينما استأثر السلاطين السلاجقة بالسلطان المطلق .

غير ان الدولة السلجوقية لم تلبث بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ ان تفككت اوصالها وتمزقت الى دويلات صغيرة فى العراق والجزيرة وخراسان وفارس وكرمان وبلخ وخوارزم وطخارستان ، وادى ذلك الى ظهور الاتابكة (٢) ، وهم الامراء او القواد الذين كان يعهد اليهم بتربية امراء السلاجقة حديثى السن ، وكان هؤلاء القواد فى كثير من الاحيان يستبدون بالحكم دون الامراء الصغار ، فاستقلوا ببعض اجزاء الدولة ، وكونوا دويلات كثيرة (٣) فى القرن السادس الهجرى واتابكيات (٤) ابرزها دولة اتابكة الموصل (٥١٦ - ٦٦٠) (٥) .

وكان الغرب الاوروبى وسط هذه التطورات على الصعيد الاسلامى قد عقد العزم على غزو العالم الاسلامى واجتياحه . فعقب مؤتمر كليرمونت

بفرنسا سنة ١٠٩٥ ، توافدت الجيوش الصليبية الى قلب العالم الاسلامى ،
واسس الصليبيون اماراتهم الصليبية فى انطاكية (٦) ، والرها وبيت
المقدس (٤٩٢ هـ) (٧) ، وطرابلس (٥٠٢ هـ) . وقد حاول الفاطميون
فى مصر التصدى لهذا الخطر فى وزارة الافضل شاهنشاه ، ولكن لحقت
بجيوشهم الهزيمة فى عسقلان أمام قوى الصليبيين المندفعة (٤٩٢ هـ) (٨) .

واستمرت احوال الدولة الفاطمية فى التدهور ، وقد فجر الصراع
بين الوزراء الموقف ، وعجل بالنهاية المحتومة ، فتنافس شاور وضرغام
على كرسى الوزارة فى نهاية عهد الفاطميين (فى خلافة العاضد لدين الله) ،
واستعان كل منهما (٩) بالقوى الصليبية فى مملكة بيت المقدس ، وقد
دفع ذلك الخلافة العباسية عن طريق نور الدين محمود بن زنكى اتابك
دمشق وحلب الى التدخل . وبعد عدة حملات قادها اسد الدين شيركوه
وابن اخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فى الاعوام ٥٥٨ هـ ، ٥٦٢ هـ
٥٦٤ هـ . تمكن الجيش النورى من القضاء على مؤامرات شاور الوزير
الفاطمى مع الصليبيين ، واعتلى اسد الدين شيركوه كرسى الوزارة فى مصر
سنة ٥٦٤ هـ ، وتلقب بسلطان الجيوش الملك المنصور . ثم خلفه بعد وفاته
فى ٢٥ جمادى الآخرة من نفس العام ابن اخيه صلاح الدين يوسف ، الذى
تلقب بالملك الناصر ، وكتب له الخليفة العاضد سجل الوزارة بخط
يده (١٠) . واستمر صلاح الدين يوسف بن أيوب وزيرا للخليفة الفاطمى
العاضد لدين الله منذ عام ٥٦٤ هـ حتى وفاة العاضد فى العاشر من المحرم
سنة ٥٦٧ هـ .

ومما لا شك فيه ان الخلافة العباسية فى بغداد كانت خلال فترة
تولى صلاح الدين للوزارة فى مصر الفاطمية فى غاية القلق . بسبب
تباطئه فى القضاء على الخلافة الفاطمية . وكان موقفه يبدو غريبا
للخلافة العباسية ، فهو وزير سنى لخليفة فاطمى شيعى ، وصلاح الدين الى
جانب سنيته ، يدين أساسا بالتبعية والولاء للخلافة العباسية . ثم ان
الخلافة العباسية كانت فى نفس الوقت ، تخشى على مصر من تطلعات
الصليبيين التوسعية ، فقد أعقبت محاولات الصليبيين الاستيلاء على

مصر زمن وزارة شاور ، محاولة أخرى قام بها عمورى ملك بيت المقدس سنة ٥٦٥ هـ (١١) ، بالتعاون مع البيزنطيين فى عهد الامبراطور مانويل كومنين . وفى هذه المرة أغارت القوتان المتعاونتان على مدينة دمياط وانتهت هذه الغارة المشتركة بالفشل الذريع الى حد أن ابن الاثير وصف هذه الغارة الصليبية البيزنطية بقوله « خرجت النعامة تطلب قرئين فعادت بلا أذنين » .

ولم يكن الخطر الصليبي وحده هو الذى يقلق الخلافة العباسية ، فقد كان خطر اتباع الفاطميين فى مصر يؤرق العباسيين ، فهم لم يترددوا فى التعاون مع الصليبيين فى سبيل الحفاظ على وجودهم ، بدليل أن صلاح الدين تعرض عقب توليه الوزارة لمؤامرة متشعبة دبرها مؤتمن الخلافة جوهر ، وأتباعه من السودانيين الذين كانوا يشكلون قسما كبيرا من الجيش الفاطمى ، بالاتفاق مع عمورى ملك بيت المقدس ، ونجح صلاح الدين فى اكتشاف هذه المؤامرة واحباط خطة المتآمرين (١٢) .

لكل هذه العوامل مجتمعة أخذت الخلافة العباسية تمارس على صلاح الدين الايوبي ضغطا شديدا عن طريق نور الدين محمود ، لتستحثه على ازالة رسوم الخلافة الفاطمية من مصر ، والمبادرة باعلان الخطبة للخليفة العباسى على منابر القاهرة ، وسك اسمه على العملة ، وجعل المذهب السنى المذهب الرسمى للبلاد بدلا من المذهب الشيعى ، فقد كانت لمصر بالنسبة للخلافة العباسية أهمية عظيمة ، فهى مركز ثقل المنطقة ، وسقوطها فى أيدي الصليبيين الذين كانوا يطمعون منذ مجيئهم الى المشرق الاسلامى سنة ٤٩٢ هـ فى الاستيلاء عليها ، يعنى عند المسلمين عامة ، كارثة كبرى للاسلام ، اذ كانت القاهرة من أعظم قواعده وركائزه ، ثم أنها كانت الحاضرة الفاطمية ، المنافسة لبغداد سياسيا واقتصاديا وعلميا (١٣) ، مما آذن بتحول القيادة العلمية والفنية فى القرون التالية الى القاهرة .

لذلك كانت مصر فى السنوات الثلاثة الاخيرة من الخلافة الفاطمية ، وأمام التهديد والخطر الصليبي ، مصدر قلق للعباسيين ، وهذا يفسر

سياسة الضغط التي كان يمارسها خليفة بغداد على صلاح الدين للتعجيل بإسقاط الخلافة الفاطمية بهدف حماية مصر من أية أخطار تتعرض لها لثقل مركزها بالنسبة للعالم الاسلامي . ولم يتردد صلاح الدين في تنفيذ ما ألزمه به الخليفة العباسي عندما حان الوقت المناسب ، وتمت الدعوة في الجمعة الاولى من المحرم سنة ٥٦٧هـ (١٤) للخليفة العباسي المستضيء بنور الله ، وعممت الدعوة لخليفة بغداد في الجمعة التالية ، وأعقب ذلك وفاة العاضد الفاطمي ، آخر الخلفاء العباسيين في العاشر من المحرم سنة ٥٦٧هـ .

واستمرت مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية ، موضع اهتمام الخلفاء العباسيين ، ذاك أن صلاح الدين الايوبي واصل بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ السياسة التي كان ينتهجها نور الدين وابوه عماد الدين زنكي ، سعيا لتكوين جبهة اسلامية متحدة في وجه الصليبيين (١٥) ، وحفاظا على مصر .

وبادر صلاح الدين بضم بلاد الشام الى مصر عقب وفاة نور الدين محمود بهدف توحيد جبهة الاسلام وان كان قد واجه مقاومة عنيفة من الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود وأتابكه (١٦) . سعد الدين كمشتكين ، ولكن تفهم الخلافة العباسية للدور الطبيعي الهام الذي تقوم به مصر تحت قيادة الناصر صلاح الدين دفع خليفة بغداد الى الاستجابة لصلاح الدين ، فأصدر سنة ٥٧٠هـ تقليدا رسميا لصلاح الدين بحكم مصر والشام (١٧) واليمن (١٨) ، وأضاف صلاح الدين الى أملاكه الموصل وأرض الجزيرة وسنجار وحلب سنة ٥٨٢هـ (١٩) ، وأصبح بذلك حاكما لدولة موحدة تمتد من بلاد النوبة واليمن جنوبا الى أرمينية شمالا ، ومن الموصل والجزيرة شرقا الى مصر وبرقة غربا ، ولم تتم هذه الخطوات التي خطاها صلاح الدين الايوبي ، الا بموافقة الخليفة العباسي ومباركته بعد أن أوضح له صلاح الدين في رسالة أن أمور الحرب ضد العدو لاتصلح فيها الشركة وانما هي لاتحتمل الا وحدة الجبهة الاسلامية (٢٠) .

وعلى هذا النحو ، حمل صلاح الدين لواء الجهاد ضد قوى الصليبيين ، وواصل سلاطين بنى ايوب نفس هذه السياسة من بعده ، فكان عصر الايوبيين عصر جهاد وحروب متواصلة بتوجيه ايجابى من الخلافة العباسية فى بغداد ، ومن أمثلة مباركة الخلافة العباسية لسلاطين بنى ايوب فى مصر منذ طليعة القرن السابع الهجرى أن الخليفة العباسى أرسل فى سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢م) الخلع وسراويلات الفتوة الى العادل وأولاده ، وفى سنة ٦٠٣هـ (٢١) (١٢٠٦م) عندما انتصر السلطان الملك العادل أبى بكر على الصليبيين ، ودخل الساحل ، كتب الى الخليفة بالبشارة مع قاضى العسكر ، ثم سير فى السنة التالية رسولا الى الخليفة ، فعاد الرسول وقد حمل معه خلعا وتقليدا خلافيا للسلطان ولأولاده الملك المعظم عيسى ، والملك الاشرف موسى ، ولوزيره ابن شكر .

كما تبادل العادل والخليفة العباسى الرسل فى سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م) (١٢) وسنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) . وعندما توفى الملك العادل سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) حزن أهل العراق على وفاته ونودى ببغداد بعد ورود الخبر بأن يحضر الناس الى جامع القصر للصلاة عليه صلاة الغائب ، فقد كان العباسيون يعتبرون سلاطين مصر من البيت الايوبى المجاهدين من أبطالهم الذين يعتزون بهم (٢٣) ويفتخرون ببطولاتهم .

ومن الامثلة الدالة على العلاقات الطيبة بين الخلافة العباسية والدولة الايوبية أن الملك الكامل أرسل (٢٤) سنة ٦٣٥هـ (١٢١٧م) نجدة مكونة من عشرة آلاف جندى الى العراق استجابة للخليفة العباسى المستعصم الذى استنجد بمصر قلب الاسلام ، عندما تعرض لاعتداءات المغول الذين كانوا قد بدأوا اعتداءاتهم على المشرق الاسلامى سنة ٦١٤هـ (٢٥) .

ويذكر المقرئى أن السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب ، لما شعر سنه ٦٤٤هـ بدنو أجله ، أوصى بتسليم البلاد الى الخليفة المستعصم بالله العباسى ليرى فيها رايه لما كان يعلمه عن ولده توران شاه من الهوج

والطيش (٣٦) ، وربما نسبت شجرة الدر نفسها الى الخليفة العباسي فتلقبت بالمستعصمية لاستمالته لها وترضيته (٣٧) .

ومن منطلق الدور الجهادي الرائد الذي التزمت به مصر واستحقت بمقتضاه عن جدارة أن تكون قلب العالم الاسلامي الذي ينبض بحياته ، وقادت أبناء الاسلام في طريق الحفاظ على سلامة وامان الامة الاسلامية ، طوال عصر الدولة الايوبية ، قدمت الكثير من التضحيات ، واعطت بسخاء في سبيل نصره الاسلام ، واستمرت تؤدي هذا الدور في بدايته حكم المماليك للبلاد ، فعندما اعتلت شجرة الدر دست السلطنة بعد ان بايعها المماليك البحرية ، قامت الاعتراضات على حكمها ، بايعاز من الفقهاء ، ومنهم الفقيه العراقي ، عز الدين بن عبد السلام الشافعي (٣٨) ، فاضطر امراء المماليك الصالحية الى أن يطلبوا منه تعضيد مركز شجرة الدر بسند شرعي يتمثل في اقرارها على السلطنة ، وكانت شجرة الدر قد سجلت نسبتها الى الخليفة المستعصم بالله العباسي في السكة والخطبة ترضية له لكي يعترف بشرعية حكمها (٣٩) ، وعلى الرغم من ذلك ، ومع تعاطفه مع شجرة الدر فان الخليفة العباسي حافظا على استقرار الاوضاع في مصر التي تمثل قبة الاسلام ، أنكر أن تتولى السلطنة امرأة ، ولم يتردد في ابداء معارضته لتوليها السلطنة وكتب يقول « ان كانت الرجال قد عدمت عندكم ، فاعلمونا حتى نسير اليكم رجلا » (٤٠) ، الامر الذي حمل شجرة الدر على أن تتزوج من عز الدين ايبك التركمانى ، وتتنازل له عن عرش مصر .

من ذلك تتضح أهمية مصر بالنسبة للخلافة العباسية في بغداد ، وتفهم أبناء سائر بلاد المشرق الاسلامي للدور الهام الذي اضطلع به سلاطين مصر من البيت الايوبي ، ومن بعدهم المماليك لحماية الاسلام والذب عنه ، وتوحيد الجبهة الاسلامية في مواجهة العدوان الصليبي ، والمتأهب للعدو المغولي الجديد زمن المماليك .

ومن هذا المنطلق بدأت تتوافد على مصر عناصر اسلامية من جميع

انحاء العالم الاسلامى ، وكان للعراقيين النصيب الاعظم بين هذه العناصر الاسلامية الوافدة على مصر منذ عصر الدولة الايوبية ، وقد ازدادت ظاهرة انتجاعهم الى مصر ، قلب العروبة ، فى القرن السابع الهجرى ، عند مجرد الاحساس باقتراب أى خطر يتهددهم .

وهناك عدد من العوامل التى ساعدت على توافد العراقيين على مصر بصورة ملموسة منذ النصف الثانى من القرن السادس الهجرى وطوال القرن السابع بحيث كونوا فى مصر جالية عراقية ، وفق بعض أفراد منها فى تولى مناصب ادارية لها اهميتها ، ونبغ رجالات منها فى كافة المجالات ادبية ومادية واسهمت هذه الجالية اسهاما لا مجال لانكاره فى المجتمع المصرى ، وتركت بصماتها واضحة فى كثير من شؤونه . واول هذه العوامل التى أدت الى ظهور العنصر العراقى فى المجتمع المصرى فى القرن السابع الهجرى قيام الدولة الايوبية فى مصر منذ عام ٥٦٧ هـ .

والمعروف أن الايوبيين ينتسبون الى أبى الشكر ايوب بن شاذى بن مروان الملقب بالملك الافضل نجم الدين ، وهو والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب . وكان شاذى والد ايوب ، وجد صلاح الدين مملوك بهروز الخادم شحنة بغداد ، ومن الاكراد الروادية ، احد بطون الهذبانية ، من بلد دوين ، فى آخر اذربيجان ، من جهة أران وبلاد الكرج (٣١) ثم رحل نجم الدين ايوب ، وأسد الدين شيركوه ، ولدا شاذى الى العراق ، وخدم بهروز الخادم ، واقاما بتكريت بالعراق ، وتولى نجم الدين ايوب حكم تكريت ، الى أن انهزم الاتابك عماد الدين زنكى فى احدى معارك الوراثة السلجوقية ، قرب تكريت ، فساعدته ، نجم الدين ايوب فى عبور نهر دجلة ليصل سالما الى الموصل مقر دولته ، وقد تسبب ذلك فى غضب بهروز على نجم الدين ايوب وأسرته ، فطردهم من تكريت ، فرحل الى الموصل ، واستفربها هو وأسرته فى ظل عماد الدين زنكى الذى أقطعهم بالموصل اقطاعات كثيرة ، فصار ايوب وأسد الدين شيركوه من جملة اجناده الى أن فتح زنكى بعلبك سنة ٥٢٣ هـ ،

فولى نجم الدين أيوب دزدارا عليها (٣٢) . وكان صلاح الدين قد قضى طفولته بالموصل ، مما طبعه وأسرته بالطابع العراقى ، وكان انتقال صلاح الدين الى مصر وتوليه الوزارة بها سنة ٥٦٤هـ ثم اقدامه على اسقاط الخلافة الفاطمية ، واعلانه قيام دولة جديدة سنية فى مصر سنة ٥٦٧هـ ، مقدمة لتفتح ابواب مصر للعناصر السنية المتوافدة من العراق ، فالسلطان صلاح الدين وان كان كردى الاصل ، الا انه كان عراقى الفشاة مما عرض المجتمع المصرى الذى كان لايزال محتفظا بالتراث الفاطمى ، لتلقى تيارات حضارية عراقية بدأت ترسخ فى كافة مجالات الحياة مع بداية الحكم الايوبى .

وكان وفود العنصر العراقى على المجتمع المصرى مع قيام صلاح الدين يوسف بادارة شؤون مصر واستقلالية بها ، فاتحة مرحلة حضارية جديدة غلبت عليها التقاليد العراقية (٣٣) .

واعتقد ان عام ٥٦٥هـ يسجل بداية انتقال فئات من اهل العراق الى مصر اما طلبا للعلم والسماع على شيوخها المتبرزين فى الفقه والحديث ، أو للنزول بها والاستقرار فى أرضها ، ذلك أن سنة ٥٦٥هـ ، هى السنة التى ارتحل فيها نجم الدين أيوب بن شادى وأسرته من العراق الى مصر ، حيث خرج صلاح الدين الذى كان لايزال وزيرا ، مع الخليفة الفاطمى العاضد لاستقباله رسميا (٣٤) . وفى تصورى أن التاريخ الذى انتقل فيه نجم الدين أيوب وأهله الى مصر سنة ٥٦٥هـ يسجل تحطيم السد الذى كان قائما بين بغداد ومصر طوال قرون ثلاثة من الخلافات السياسية والمذهبية ، واستغرقها حكم الفاطميين للديار المصرية ، وشجع انتقال أسرة صلاح الدين الى مصر على اقبال طوائف كثيرة من العراق الى مصر وسيوضح ذلك التصور فى السنوات التى تلت ذلك خاصة عقب سقوط الخلافة الفاطمية .

لقد بدأ الايوبيون فى مصر بحكم نشأتهم الاولى فى العراق ، عصر انفتاح على المشرق عامة وعلى العراق والدولة العباسية بوجه خاص ،

فقد كانت مصر قبل قيام الدولة الايوبية شبه مغلقة عن المراكز الثقافية الهامة في العالم الاسلامي ، وأهمها بغداد والكوفة والبصرة في العراق ، ودمشق وحلب في الشام ، وقرطبة واشبيلية في الاندلس ، والقيروان وتونس وفاس (بعد انسلاخ الدولة الزييرية عن الخلافة الفاطمية في عهد المعز بن باديس) في المغرب ، فلما أسقط صلاح الدين الدولة الفاطمية وقضى على دعاة الشيعة في مصر ، أخذت مصر ترتبط من جديد بجاراتها في المشرق والمغرب الاسلاميين ، وتألفت الحياة العلمية في مصر تألقا يشهد به تردد صلاح الدين وبنيه على شيوخ الاسكندرية ، ومنهم الحافظ. أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي ، وأبو الطاهر اسماعيل بن عوف الزهرى ، وانشاء عدد كبير من المدارس السنية في مختلف مدن مصر الكبرى كالفسطاط والقاهرة والاسكندرية ، وبدأت مصر تستقطب علماء الاسلام من الشرق والغرب وتجذبهم اليها ، وأصبحت الرحلات العلمية لاسيما من العراق الى مصر هي الطابع المميز لهذا العصر (٣٥) ، خاصة بعد أن أدخل صلاح الدين نظام المدارس السنية في مصر (٣٦) لمحاربة المذهب الشيعي وأوقف عليها الاوقاف الطائلة (٣٧) أسوة بما فعله الوزير نظام الملك السلجوقي في العراق ، وبلاد فارس ، ونور الدين في الشام (٣٨) .

وبذلك يمكننا ان نرجع الى نظام المدارس الذي أدخله الناصر صلاح الدين في مصر الفضل في الانفتاح المصرى على المشرق الاسلامي ، ويمثل انتشار نظام المدارس السنية في مصر ، انقلابا علميا ومذهبيا ، اذ أطاح بالاثار الواهية للمذهب الشيعي الذي روج له الفاطميون في مصر في ظل خلافتهم ، وساعد على انتصار علم الحديث والفقه على المذاهب الاربعة ، كما فتح الابواب المغلقة امام الثقافات الاسلامية الاخرى لتتدفق على القاهرة مرة أخرى ، وبذلك أصبحت مساجد القاهرة ومدارسها مؤئلا للعلماء ، وفي مقدمتهم علماء العراق ، وصارت مكتباتها ، خزائن دور العلم ، وخزائن للكتب والمصنفات التخصصية في علوم الفقه والحديث .

وبدأت القاهرة منذ قيام الدولة الايوبية تظهر شيئاً فشيئاً على رأس المراكز العلمية الثقافية السنية في العالم الاسلامى بعد أن عاشت قرون طويلة ، حبيسة المذهب الشيعى ، وستصبح القاهرة مع بداية القرن السابع الهجرى مركزاً للتراث الفكرى الاسلامى كله حافظت عليه حفاظها على بلاد الاسلام امام الغزوين الشرسين الصليبي ، والمغولى .

ويرجع الفضل في تألق القاهرة بعد ذلك منذ طليعة القرن السابع الهجرى الى أنها جمعت بين التقاليد الاسلامية المشرقية التى بدأت تتدفق عليها بعد سقوط الخلافة الفاطمية ، وبين التقاليد المحلية النابعة من تراثها القديم ، وتقاليدها الاسلامية التى استمدتها من البيئة المصرية نفسها .

ولم تقتصر التأثيرات العراقية في مصر زمن الايوبيين على الجوانب العلمية والاجتماعية ، وانما امتدت الى المجال العسكرى ، فقد تأثر صلاح الدين يوسف في تشكيلات الجيوش الايوبية بالنظام النورى المعروف عند سلاجقة العراق ، كما أنه عمم لأول مرة في تاريخ مصر القاعدة الاقطاعية بعد وفاة الخليفة العاضد لدين الله ، فأصبحت الاقطاعات توزع على السلطان وجنوده (٣٩) ، كما استخدم صلاح الدين منذ عام ٥٦٧هـ الحمام في البريد الحرى متأثراً في ذلك بمخدومه نور الدين ، فمن المعروف أن نور الدين محمود بن زنكى هو أول من اتخذ الحمام الهوادى في نقل الاخبار بجميع أنحاء مملكته (٤٠) .

لقد شب صلاح الدين في كنف عماد الدين زنكى وولده نور الدين محمود ، وشهد بنفسه ، وكان بعد حدثاً صغير السن ، استيلاء نور الدين محمود على مدينة دمشق سنة ٥٤٩هـ ، وشهد الهجوم النورى على المدينة الذى شارك فيه أبوه نجم الدين أيوب ، وعمه اسد الدين شيركوه ، فكان ذلك أول درس عسكرى تلقاه صلاح الدين في حياته ، ومنذ ذلك الحين أخذت الخطط العسكرية والمشروعات الحربية النورية ترسخ في مخيلة صلاح الدين ، بحيث ألم وهو شاب بالكثير من فنون الحرب

والقتال ، واخذ يطبقها عمليا منذ ان أستهل حياته العملية في مصر بعد زوال الخلافة الفاطمية .

وكانت طبيعة العصر الايوبي السياسية والعسكرية من العوامل التى ساعدت على كثرة توافد العناصر العراقية على مصر ، فحركة الجهاد الاعظم ضد القوى الصليبية التى قادها صلاح الدين الايوبي ، بعد توحيدده للجبهة الاسلامية ، وسار عليها خلفاؤه من سلاطين بنى أيوب طوال القرن السابع الهجرى كان لها اعظم الاثر في وفود عناصر عراقية مقاتلة الى مصر قاعدة الجهاد ضد قوى الصليبيين في العالم الاسلامى للمشاركة في الجهاد ، ووفق صلاح الدين في أن يعيد لمصر زعامتها لجبهة اسلامية متحدة تضم بلاد الشام وأطراف العراق ، وتدفع الى مصر مجاهدون من الشام والعراق والمغرب للمثاغرة والمشاركة في الجهاد (٤١) .

والعامل الثانى الذى ساعد على تدفق العراقيين الى مصر في القرن

السابع الهجرى هو سقوط الخلافة العباسية على ايدى المغول سنة ٦٥٦ هـ (٤٢) ، واستيلاؤهم على بغداد قصبة الاسلام وقلعته ، وغيثهم في عمرانها ، وتدميرهم لكل مظاهر حضارتها ، وابادتهم لكثير من أهلها

وكان لسقوط بغداد نتائج عديدة في مختلف مناحى الحياة ، فمن الاسلامى في الصميم ، وأطاحت بالقيم الحضارية الاسلامية التى تركزت فيها عبر حقب التاريخ الاسلامى ، فانهار بسقوطها وسقوط الخلافة العباسية ، البناء الشامخ الذى كثيرا ما صمد للنوازل والنكبات .

وكان لسقوط بغداد نتائج عديدة في مختلف مناحى الحياة ، فمن الناحية الروحية والنفسية افتقد المسلمون بوجه عام والعراقيون بوجه خاص الامان ، امام المذابح البشعة التى واكبت الغزوة المغولية البربرية الغاشمة ، وبدأوا يحسون بفداحة الواقعة مما دفع بعضهم الى الاعتقاد بأن يوم القيامة قد حان ، وهذا يفسر ان بعض المؤرخين حاول تعليل الحوادث والكوارث الطبيعية التى سبقت سقوط بغداد بأنها مؤشرات ربانية على قرب نهاية العالم .

وبالافتقاد صمام الامان نتيجة لهذه المذابح البشعة ، ومصرع خليفة الاسلام ، أحس أهل العراق أنهم فقدوا القائد الروحي والراعى ، فشملمهم الاضطراب والرعب من المصير السىء الذى ينتظرهم ، وأثر العدد الاعظم من الناجين اللجوء الى بلاد آمنة ، يستظلون فيها بحماية ملوكها وحكامها ، فلم يجدوا أنسب من مصر ، اذ أن بلاد الشام كانت المسرح التالى لجرائم المغول ، ثم أن دولة سلاطين المماليك الفتية كانت معقد الامل فى مواجهة جحافل المغول والتصدى لهجمتهم المدمرة .

وهكذا أعمل عدد كبير من أهل العراق الرحلة الى مصر ، التماسا للامن، وكان من بين هؤلاء المهاجرين طوائف من العلماء والادباء والصناع وأرباب الحرف (٤٣) ، وفى ذلك يقول اليونينى فى ذيل مرآة الزمان فى أحداث عام ٦٥٨هـ : « فيها كثر الارجاف بوصول التتار الى البلاد ، فجفل الناس من بين أيديهم الى الديار المصرية والجبال والاماكن المتوعرة (٤٤) . . . » . ويشير هذا النص الى هروب من كان قد لجأ الى الشام من أهل العراق الى مصر ، وكانوا يشكلون كثرة عددية فى أعقاب سقوط بغداد ، وأصبحت مصر منذ ذلك العام ملاذا لأهل العراق (٤٥) والشام ، ويسوق اليونينى فى هذا المعنى خبرا آخر فى أحداث سنة ٦٦٠هـ . يقول اليونينى : « حدث هروب أكثر أهالى الشام للديار المصرية ، فقام الامراء ببيع حواصلهم وتهيئوا للحرب ، وأرسلوا نساءهم الى مصر ، وقام كبراء دمشق بالرحيل الى مصر (٤٦) . . . » . بل أن الارجاف بكارثة سقوط بغداد دفع الكثيرين من أهل العراق الى الرحيل الى دمشق والقاهرة فى عام ٦٥٥هـ ، فالمقريزى يذكر فى حوادث عام ٦٥٥هـ أى قبل سقوط بغداد أنه قد كثر الارجاف ببغداد لما سمعوه عن قسوة المغول فى البلاد التى فتحوها ، فخرج الناس فارين من بغداد الى غيرها من الاقطار (٤٧) ، كذلك يذكر فى نفس العام أن جماعة من فقراء الحيدرية وصلوا الى دمشق وعلى رؤوسهم طراوير ، ولحاهم مقصوصة وشواربهم بغير قص ، ذلك أن شيخهم حيدر لما أسروه قصوا لحيته وتركوا شاربه ، فاقتدوا به ، ومن دمشق توجهوا الى مصر (٤٨) .

وفي تصوري أن ثالث العوامل التي ساعدت على كثرة توافد العراقيين على الديار المصرية في القرن السابع الهجري وأهمها جميعا ، هو أحياء الظاهر بيبرس للخلافة العباسية في مصر . وأول من نصبه بيبرس على الخلافة العباسية في مصر الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة العباسي الظاهر أبي نصر ، عم الخليفة المستعصم بالله (٤٩) آخر خلفاء بغداد . وقيل أن الأمير أبا القاسم كان سجيناً ببغداد في حبس الخليفة المستعصم بالله (٥٠) ، فلما ملك التتار بغداد أطلقوه فيمن أطلق من السجناء ، فخرج أبو القاسم أحمد إلى عرب العراق وأقام عندهم واختلط بهم ، فلما اعتلى بيبرس دست السلطنة في مصر ٦٥٩ هـ ، بعد انتصار المماليك الحاسم بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠ م) على المغول في عين جالوت ، وأثبتت دولة المماليك في مصر أنها قادرة على مواجهة المغول والتغلب عليهم ، وحماية العالم الإسلامي ، أثر أبو القاسم أحمد اللجوء إلى القاهرة عندما بلغه أن بيبرس يسعى لأحياء الخلافة العباسية في القاهرة ، فلم يلبث أن قدم إلى القاهرة في جماعة من عشرة أمراء من بني مهارش من عرب خفاجة وبصحبته الأمير ناصر الدين بن مهنا (٥١) ، وجماعة من عربان العراق ، فرحب السلطان بيبرس بمقدمه ، وكان يؤمن بأن الخلافة العباسية يجب أن تستمر حتى بعد سقوط بغداد ، كما كان يأمل أن تكون القاهرة الحاضرة الجديدة للخلافة العباسية ، ليستمد من ذلك شرعية في حكمه ويسبغ على السلطنة المملوكية نوعاً من الحماية الروحية ، وقد صدق تفكير بيبرس ، فقد عظم شأن مصر بعد أن أصبحت مقراً للخلافة العباسية وأصبح السلطان المملوكي حامياً لها ، فاكسب لذلك مكاسب روحية هائلة ، ساعدته في بسط سلطانه على مناطق كثيرة من الشام بالإضافة إلى الحجاز ، فعلا شأنه وعظم نفوذه ، وتآلق نجم القاهرة ، مقر الخلافة العباسية ، فاجتذبت العلماء والفضلاء والزهاد (٥٢) من كل بقاع العالم الإسلامي ، وعلى الأخص من أهل العراق الذين شجعهم أحياء بيبرس للخلافة العباسية على المقام في مصر واستيطانها في ظل حكم إسلامي قادر على حمايتهم .

وتتمثل أول مظاهر الهجرة العراقية وبشائرها إلى مصر في العصر المملوكي في منتصف القرن السابع الهجري في قدوم جماعة من بني مهارش بصحبة الأمير أبي القاسم إلى القاهرة ، وهم عشرة أمراء مقدمهم الأمير ابن قسا ، وابن مهنا (٥٣) . كذلك وفد إلى مصر مع الأمير العباسي أبي القاسم الذي سيبيع له بالخلافة في القاهرة ويلقب بالمستنصر بالله ، القاضي كمال الدين أبو عبد الله (٥٤) محمد ابن القاضي عزيز الدين المنجاري الحنفي ، وكان وزيراً ومدرساً بالخاتونية ، والصادرية بدمشق ، وكان أول الجفال إلى مصر ، فلما عرضوا عليه وزارة المستنصر بالله سافر معه إلى مصر ، ثم استشهد معه في هيت .

وفي نفس العام ٦٥٩هـ ، قدم إلى مصر أولاد الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، الذي كان قد توفي سنة ٦٥٧هـ (٥٥) ، وهم الملك الصالح اسماعيل ابن لؤلؤ الذي تولى إمارة الموصل بعد وفاة والده ، والملك المظفر علاء الدين وكان يتولى سنجار ، والملك المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر . فأحسن الملك الظاهر إليهم ، ومنحهم الاقطاعات بمصر (٥٦) . بل أن بيبرس سعى إلى توثيق أواصر الصداقة والمودة بين هؤلاء الأمراء العراقيين حكام الموصل والجزيرة وسنجار ، وبين أمراء مصر من المماليك ، فسعى إلى تزويج ابنة الملك الرحيم بدر (٥٧) الدين لؤلؤ أخت هؤلاء الأمراء الثلاثة ، من الأمير بدر الدين بيليك الخازندار (٥٨) ، نائب السلطنة المصرية في ذلك الوقت .

وتم ذلك الزواج في سنة ٦٦٠هـ ، واحتفل بيبرس بهذه المصاهرة العراقية المصرية ، فأمر بأجراء رسوم العرس في الميدان الأسود تحت القلعة ، واحتفل به احتفالاً لم يشهد مثله ، ثم فوض إلى بدر الدين الخازندار زوج الأميرة العراقية ، في تلك الأيام ، النظر في الجيوش والاقطاعات وأمور الرعية ، وملكه بانياس والصبيبة بعقد البيع الشرعي ، فكافأه لخدمته له وبمصايرته معه في حالتي الشدة والرخاء ، ولزواجه من ابنة ملك الموصل .

ومما لاشك فيه أن هؤلاء الأمراء قدموا إلى مصر ملتجئين للامان ،

وأنهم جاءوا بأسرهم وذرائعهم ، فتلقاهم سلطانها بكل مظاهرة الحفاوة ، وأكرم وفادتهم ، فأنزل الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل في دار الفائزى خارج باب القنطرة بمصر ، وأنزل الملك المجاهد اسحق صاحب الجزيرة في دار بجوار أخيه أنشأها شيخ الصنائع معين الدين ابن الشيخ ، ولم ينس من كان معهما من الحريم (٦٩) فأجرى لحريره راتبا شهريا لا يقطع ولا يمنع .

بقيت الاميرة العراقية ابنة بدر الدين بن لؤلؤ في مصر بعد زواجها من نائب السلطنة الامير بدر بيليك الخازندار ، بينما طلب اشقاؤها العودة (٦٠) الى بلادهم بالعراق ، فاشترك أخوها الملك الصالح اسماعيل بن لؤلؤ في جيش الخليفة العباسي المستنصر الذي وجهه بيدرس لاسترداد بغداد (٦١) سنة ٦٥٩ هـ ، ولحق به أخواه ، وعاد الملك الصالح اسماعيل الى الموصل في جملة العسكر الذي صاحب المستنصر بالله العباسي . فلما هزم جيش المستنصر بالله العباسي في هيت توجه التتار لحصار الملك الصالح اسماعيل بن لؤلؤ في الموصل في بداية سنة ٦٦٠ هـ ، وضيقوا عليه الى ان ظفروا به وبولده ، فقتلوا ولده قبله ثم قتلوه ، وطافوا برأسه في البلاد (٦٢) . وما أن سقطت الموصل في أيدي التتار حتى بادر كل من الملك المجاهد سيف الدين اسحق صاحب الجزيرة ، والملك المظفر علاء على صاحب سنجار ، باللجوء الى مصر ، فاستقبلهم السلطان الملك الظاهر بيدرس أحسن استقبال ، وأحسن اليهم فأقطع « الملك المجاهد لخاصة فوق المائة ألف درهم ، ولأولاده كل واحد منهم على انفراده أقطاعا جزيلا وكذلك لأخيه الملك المظفر علاء الدين ، لخاصة ومماليكه أيضا . » ، فعاش أبناء ملك الموصل في رغد ورفاهية طوال مقامهم في مصر (٦٣) .

ونستدل من ذلك على أن هجرات العراقيين الى مصر في منتصف القرن السابع الهجري بدأت تأخذ شكل الهجرة الجماعية ، فلم تعد هجرات فردية مثلما كان عليه الامر في القرون السابقة ، فها هي أسرات عراقية بأكملها تهاجر الى مصر وتقيم فيها ، وسنوضح عند حديثنا عن اثر العراقيين الوافدين على الحياة العلمية والاقتصادية في مصر أن أبناء

العراق المهاجرين الى مصر توارثوا المناصب والوظائف والحرف جيلا بعد جيل مما يؤكد وجود جماعات كبيرة ، واسرات عراقية كثيرة ، وفدت الى مصر في القرن السابع الهجري ، واشتغلت في شتى القطاعات المهنية بدءا من طبقة الحكام والامراء حتى صناع الاحذية والنعال . ويذكر (٦٤) اليونيني ان هناك من امراء وملوك العراق من لم تسنح له الفرصة ولم تمكنه ظروف بلاده من الهجرة الى مصر في اعقاب الغزوة التتارية الوحشية ، ولكنهم تعاونوا مع سلاطين دولة المماليك في مصر ضد العدو المغولي ، ومن هؤلاء ، الملك المظفر صاحب ماردين الذي كان على اتصال سرى دائم مع السلطان الملك الظاهر بيبرس مما اثار غضب هولاكو عليه ، فأخذ يتهدهده ، وترك هولاكو لذلك احد اتباعه في ماردين ، ثم امر بقتل الرهائن الذين كان قد تركهم صاحب ماردين لديه ا رهابا له وانذارا بما سوف ينتظره من مصير لو انه واصل اتصاله بسلطان مصر ، ويعبر اليونيني عن ذلك بقوله في أحداث عام ٦٥٩هـ « قال له هولاكو ، ان احبابك اخبروني ان لك باطنا مع صاحب مصر ، وقد رايت ان يكون عندك من جهتي من يمنعك التسحب اليه ، ثم عين له اميرا يدعى احمد بغا ، ورده الى ماردين ، وزاده نصيبين والخابور ، وامره بهدم شراريف القلعة ، ولما فارقه ضرب رقاب الجماعة الذين تركهم صاحب ماردين عند هولاكو ، وكانوا سبعين رجلا ... » (٦٥) .

واستمر توافد العراقيين في سنة ٦٦٠هـ على مصر ، وبرزهم ثانيا خلفاء العباسيين في مصر ، الامير ابو العباس احمد بن الامير ابي على الذي يرتفع نسبه الى الخليفة العباسي المستظهر بالله . وكان هذا الامير قد اشترك في القتال في معركة هيت ، ونجا من الموت بعد ان انهزم فيها المستنصر بالله اول خلفاء بني العباس في مصر ، وقدم الى الديار المصرية في صحبة طائفة من عرب العراق وطواشي من بغداد (٦٦) ، وشهدوا على صحة نسبه عند مبايعته بالخلافة سنة ٦٦٠هـ . وكان من بين الوافدين من العراق الى مصر استنادا الى المقریزی بعد كسرة المستنصر « شيوخ عبادة وخفاجة من هيت والانبار الى الحلة والكوفة وكبيرهم خضر بن

بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي ، وشهري بن أحمد الخفاجي ، ومقبل بن سالم ، وعياش بن حديثة ، ووشاح وغيرهم ، فأنعم السلطان عليهم ، وكانوا له عينا على التتار . . . » (٦٧) .

وواضح من هذا النص أن هؤلاء الامراء العرب الوافدين من العراق بعد هزيمة هيت تعاونوا مع مصر ضد المغول .

ونستدل من خبر ساقه المقریزی ، انه قدم الى مصر في ١٥ رجب من سنة ٦٦٠هـ جماعة من البغاددة مماليك الخليفة المستعصم الذين تأخروا بالعراق بعد مقتل الخليفة ، ومقدمهم سيف الدين سار ، فأكرمهم السلطان بيبرس ، ومنح الامير سار امرة خمسين في الشام ، ونصف مدينة نابلس ، ثم نقله الى امرة طبلخاناه بمصر (٦٨) .

وفي سنة ٦٦١هـ بدا بنو خفاجة العراقيون (٦٩) يظهرون على مسرح الاحداث السياسية في مصر ، فقد « جهز السلطان عرب خفاجة بالخلع الى اكابر اهل العراق ، وكتب الى صاحب شيراز وغيرهم بهولاءكو ، والبس عدة من امراء خفاجة الفتوة » . وفي سنة ٦٦٢هـ رحلت جماعة من عرب خفاجة « كانوا قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق يخبرون فيها بأنهم اغاروا على التتار حتى وصلت غاراتهم باب مدينة بغداد ، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز » (٧٠) ، فأجيبوا وأحسن اليهم .

وفي الثالث من رجب سنة ٦٦٢هـ تجددت هجرة بنى خفاجة العراقيين الى مصر ، ومعهم عدد من اكبر امراء العراق ، فقد « قدم الوافدون من شيراز ومقدمهم الامير سيف الدين بلك ومعه سيف الدين اقتبار الخوارزمي جمدار الدين خوارزم شاه ، وغلما اتابك سعد ، وهم شمس الدين سنقر جاه ورفقته ، ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح ابن شهري ، والامير حسام الدين حسين بن ملاح امير العراق ، وكثير من امراء خفاجة ، فتلقاهم السلطان بنفسه واعطى سيف الدين بلك امرة طبلخاناة وأحسن الى سائرهم » (٧١) .

ونستنتج من ذلك ان عرب خفاجة العراقيين اقاموا باعداد كبيرة في مصر ، ونعموا بتقدير السلطان المملوكي ، فارتفعت مكانتهم وقاموا بدور هام للغاية ، اذ كانت طائفة منهم لاتزال بالعراق ارتبطت بالمقيمين منهم في مصر ، وعملوا في العراق على مقاومة المغول ، وكانوا على اتصال مباشر بالسلطان الظاهر بيبرس وفي خدمته الخاصة ، فعندما قدمت طائفة من جهة التتار سنة ٦٦٢هـ ، كتب السلطان الى امراء خفاجة بخدمتهم (٣٣) .

وتوالت الهجرات العراقية على مصر في عام ٦٦٢هـ ، ففي هذه السنة وصل السلطان بقلعة الجبل وقدم شحنة تكريت (٣٣) بجماعة ، وفي نفس العام قدم البريد من البلاد الشامية ، بان عددا من الاتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد (٣٤) مستأمنين . وفي عام ٥٦٤هـ وصل الى مصر شخص ادعى انه مبارك ابن الامام المستعصم وصحبته جماعة من امراء العربان ، فلم يعرفه احد من مماليك الخليفة المستعصم العراقيين الذين كانوا يقيمون في مصر ، فتبين كذبه ، ثم قدم بعده من دمشق شخص آخر اسود الى مصر ذكر انه من اولاد الخلفاء .

كذلك قدم الى مصر في سنة ٥٦٤هـ على بن الخليفة المستعصم (٣٦) بعد فترة طويلة قضائها في أسر التتار .

تلك كانت بعض الامثلة عن تدفق العراقيين على مصر بعد ان اقدم السلطان بيبرس على احياء الخلافة العباسية بها ، وفي هذا ما يؤكد على ان انتقال الخلافة العباسية الى مصر بعد سقوط بغداد في ايدي التتار ، كان له اكبر الاثر في توافد ابناء العراق على مختلف طبقاتهم الى الاراضي المصرية بهدف الاستقرار في هذا البلد الامن ، فكان منهم الامراء والفقهاء والادباء وارياب الحرف والفنون .

ورابع العوامل التي ساعدت على تدفق العراقيين من مختلف

الطبقات والفئات على مصر ، الازدهار الاقتصادي والعلمي في مصر في

العصر المملوكى ، وتشجيع السلاطين وأمراء المماليك لحركة الصناعة والفنون والآداب مما دعا مؤرخى هذا العصر الى اعتبار فترة حكم سلاطين المماليك من ألمع المراحل التاريخية التى شهدت مصر الاسلامية فى عصورها الوسطى ، ففى عهدهم علا شأن مصر السياسى والدينى بين الدول الاسلامية بعد أن أصبحت مقرا للخلافة العباسية ، كما سطع نجمها ، وتآلفت بين دول العالم بعد أن سيطرت على أهم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب . وفى عهدهم ، أصبحت مصر أعظم المراكز الحضارية فى العالم الاسلامى ، ويشهد على ذلك روائع الفن المصرى فى العصر المملوكى ، والمتحف الفنية الرائعة التى تزخر بها قاعات متحف الفن المصرى الاسلامى بالقاهرة وكثير من المتاحف الدولية . وقد اعتبرت مصر من بين أعظم مراكز الصناعة فى العالم الاسلامى لعدة عوامل ، منها ، توفر الخبرات والكفايات والمهارات الصناعية المصرية وهى خبرات متوارثة عبر حقبة التاريخ منذ أقدم العصور الفرعونية (٧٧) ، ومنها تشجيع أمراء المماليك وسلاطينهم لاساتذة الصناعات فى الاقطار الاسلامية الاخرى ، خاصة صناع العراق (٧٨) بعد سقوطها فى أيدي المغول مما دفعهم الى الاستقرار بمصر التى أصبحت تمثل مركز الثقل فى العالم الاسلامى ، وتأكدت لها الزعامة السياسية والعسكرية فى ذلك الوقت ، وقد أسهم هؤلاء الصناع الوافدين الى مصر بلا شك فى تطوير صناعاتها ، وادخلوا عليها أساليب فنية جديدة ، انصهرت فى بوتقة الفنون المحلية مما أدى الى تقدم الفنون المصرية وتفوقها على سائر الفنون الاسلامية شرقا وغربا .

هذا الى جانب توفر العديد من الخامات التى تستلزمها مختلف انواع الصناعات فى مصر ، كقصب السكر والقطن والكتان الى جانب استيراد المماليك بحكم تفوقهم التجارى وسيطرتهم على الطرق التجارية العالمية ، للمواد غير المتوفرة لديها كالحديد والنحاس والاششاب .

هذا ، وقد ساعد التنافس المتواصل على السلطة بين أمراء المماليك

على اصطناع مظاهر الابهة والفخامة وكل الوان الترف والبذخ في كسب الانصار والمؤيدين ، فاسرفوا في التظاهر بالعظمة ، وتنافسوا في تشييد القصور الفخمة واقتناء النادر من التحف والادوات . ولكل هذه الاسباب برزت مصر كمركز صناعى هام مما دفع حكام العالم الاسلامى الى طلب صناعتها (٧٩) .

ومن أهم المصناعات التى ازدهرت فى مصر فى العصر المملوكى ، صناعة النسيج ، وقد اشتهرت الاسكندرية بصناعة الوشى والسقلاطون والمفرج السكندرى والشائى الحريرى والمموج بالذهب ، والطرده وحش والبشاخين (٨٠) ، واشتهرت دبيق بالحرير ، أما القباطى فهى اقمشة سميت باسم صناعتها الاقباط ، وهناك الاقمشة الصوفية الخالصة التى كانت تنسج فى مدن الصعيد بمصر ، كما كانت تصنع فى مصر المملوكية كسوة الكعبة (٨١) . وازدهرت صناعة الورق فى مصر المملوكية ، وكان الورق المصرى يأتى فى المرتبة الثالثة من حيث الجودة والقطع بالنسبة للورق البغدادى الذى كان ينسب الى بغداد والورق الشامى الذى كان ينسب الى الشام (٨٢) . كما ازدهرت صناعة الدوى (المقلمات) التى ظهرت فى مصر فى العصر الايوبى . أما المصناعات المعدنية فقد تقدمت فى مصر المملوكية ومن أهمها الشمعدانات وكراسى العشاء والمباخر والمقلمات والكسوات النحاسية لبعض الابواب ، كما تقدمت صناعة التكفيت فى مصر فى العصر المملوكى (٨٣) ، ومن بين المصناعات التى اشتهرت بها مصر فى هذا العصر ، صناعة الخزف ، والقاشانى والمصناعات الزجاجية حيث برز بوضوح الزجاج المموه بالزخارف المذهبة أو المينا ، وظهرت المشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا ، ومنها أيضا المصناعات الخشبية كالمنابر والدكك والكراسى ، وتفوق المصريون فى تطعيم الاخشاب بالعاج أو العظم أو الابنوس . أما فيما يتعلق بالتجارة ، فقد أصبحت القاهرة زمن المماليك ، بحكم أنها العاصمة ومقر الطبقة الحاكمة الثرية ، المركز الرئيسى للنشاط الاقتصادى على مختلف صورته ، وأصبحت مقرا لأكبر الاسواق التجارية فى العالم الاسلامى . أما مدينة مصر (الفسطاط والعسكر وبقايا

القطائع) فقد كانت مركزا تجاريا وصناعيا داخليا هاما لوقوع الفسطاط على النيل مباشرة فأصبح مرفأ الفسطاط القائم على النيل مقصدا لآلاف المراكب النيلية القادمة اليه من شمال مصر وجنوبها (٨٤) . ومن أبرز المدن الساحلية المصرية التى كان لها دور هام فى تجارة مصر الداخلية والخارجية على السواء الاسكندرية ودمياط على البحر المتوسط والقصر (٨٥) وعيذاب والطور على بحر القلزم ، وقوص واسوان على النيل .

ولقد كان لمرور التجارة الهندية عبر مصر فى العصر المملوكى اثر كبير فى المكاسب الهائلة التى آلت الى مصر ، وزيادة ثرواتها ، وهذه الثروات تفسر لنا حياة البذخ والترف (٨٦) التى كان ينعم بها اهل مصر فى ذلك العصر .

وفى مجال الزراعة، اهتم معظم سلاطين المماليك بها، فعنوا بمقاييس النيل ، وامروا بانشاء الجسور فى كل أنحاء البلاد ، سواء كانت سلطانية يعود نفعها على البلاد ، وتتولى صيانتها الحكومة من مال الخراج ، او جسور بلدية ، تعود منفعتها على ناحية من النواحي ، ويتولى صيانتها الفلاحون . وكان يزرع بمصر القمح والشعير وخاصة فى الصعيد ، وكل انواع الخضر والفواكه والزهور .

واذا انتقلنا للحديث عن الحياة العلمية فى مصر زمن المماليك نجد ان القاهرة بدأت تحتل فى العصر المملوكى ، وبالذات منذ النصف الاول من القرن السابع الهجرى ، مركز بغداد الحضارى والعلمى ، وظلت مصر تحمل مشعل الحضارة الاسلامية حتى دخول العثمانيين اليها (١٥١٧م) . والى جانب ماخلفه لنا المماليك من آثار عظيمة من اربطة ومساجد وقصور وأضرحة ومدارس ، وخانقاوات ووكالات وحمامات وبيمارستانات ، واسبله ، نجد علماءهم وأدباءهم يخلفون كما هائلا من المصنفات فى شتى انواع العلوم والمعارف ، وظهر فى مصر فى العصر المملوكى اطباء وفلاسفة وعلماء فى الكيمياء والهندسة والحساب ، وفقهاء فى علم

الحديث وأدباء متبرزون في الشعر والنثر . وكفى أن نشير الى
البيمارستان الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون والذي عمل فيه أبرع
الاطباء في العالم الاسلامي بأسره . وقد امتاز العصر المملوكي بظهور
علماء تخصصوا الى جانب العلوم السابقة في دراسة المعادن والاحجار
الكريمة مثل بيلق القجقي (٦٤٠ - ٦٨١ هـ) (١٢٤٢ - ١٢٨٢ م) وأبو
العباس أحمد التيفاشي (ت ٦٩٣ هـ) (١٢٩٣ م) وكلاهما عاش في
القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . كما ظهر من تخصص
في علم الحيوان والفلك والرياضيات (٨٧) .

ومن هذا العرض السابق يتبين لنا أن كل العوامل والظروف كانت
مهيئة لانتقال العراقيين الى مصر واستقرارهم بها في القرن السابع
الهجري . وقد شملت الهجرات العراقية الى مصر كل الطوائف وأصحاب
المهن والتخصصات المختلفة ، فالجالية العراقية في مصر في القرن السابع
الهجري كانت تضم الامراء والقادة والصناع والفنانين والتجار والعلماء
والادباء والاطباء ، ومن تخصصوا في المنطق والموسيقى .

وسنستعرض معا اثر كل طائفة على حدة على الحضارة المصرية
في القرن السابع الهجري .

أولا - العراقيون واسهاماتهم في المجال الاقتصادي

١ - الصناعة :

١ - الصناعات المعدنية :

يعد القرن السابع الهجري بداية العصر الذهبي للصناعات والفنون
الاسلامية (٨٨) بمصر . وأهم هذه الصناعات وأكثرها شهرة صناعة
التحف المعدنية في تلك الفترة الزمنية ، وهي صناعة حققت تفوقا لم تشهده
مصر من قبل ، فقد واصل الصناع اتباع الاساليب الزخرفية التقليدية من
حفر أو حز أو قطع أو خراط ، وإن كانت قد ازدادت دقة في التنفيذ ، وبالإضافة

الى ذلك يشهد هذا القرن ازدهار صناعة التكفيت بالذهب والفضة او
تكفيت البرونز بالنحاس الاصفر .

وقبل أن نتحدث عن ازدهار صناعة التكفيت في مصر في القرن
السابع الهجرى ، وعلى وجه الخصوص في النصف الثانى منه ، نتيجة لهجرة
عدد كبير من الصناع المتخصصين في هذا النوع من الصناعات من الموصل ،
أهم مراكز هذه الصناعة في العالم الاسلامى الى حواضر مصر والشام
امام الغزو المغولى ، علينا أن نعرف التكفيت او التطعيم incrustation
كذلك علينا أن نوضح الفرق بين التكفيت والترصيع Marqueterie (٨٩)
والتصفيح .

فالتكفيت ببساطة شديدة ، أسلوب خاص في زخرفة التحف المعدنية
تحفر فيه الرسوم ثم تملأ الشقوق التى تؤلف هذه الرسوم بقطع أخرى
من مادة أعلى قيمة . اما فى الترصيع فان طبقة الزخرفة الجديدة تلصق
على السطح كله ، لذلك يطلق على الترصيع اسم آخر وهو التلبيس .

وهناك التصفيح ، وهو كسوة التحفة الخشبية بصفائح معدنية
مثل تغطية الابواب بكسوات نحاسية ، ومن أمثلة التصفيح صندوق
خشبي مصفح بالنحاس المكفت بالفضة ، محفوظ في متحف الفن الاسلامى ،
ويزخر هذا الصندوق بالآيات القرآنية التى نقشت بالخط الكوفى
المورق (٩٠) وخط الثلث .

وهناك باب خشبى من مصراعين مصفحين بالنحاس فى متحف الفن
الاسلامى بالقاهرة (٩١) . وقد شاع التصفيح فى مصر فى العصر الايوبى ،
ونجح الصناع المصرى فى هذا العصر فى تغطية قبة الامام الشافعى الخشبية
من الخارج بطبقة من الرصاص .

ومن الثابت أن مدنا اسلامية ، تمرست فى فن التكفيت قبل القرن
السابع الهجرى وأبرزها مدينة الموصل التى فاقت غيرها فى هذا الفن ،

فقد كانت الموصل غنية بمناجم النحاس الاحمر^(٩٢) الذى يتوفر قرب ديار بكر وفي منطقة الخابور ، وقد امد ذلك النحاسين فى الموصل بما يحتاجون اليه من هذا المعدن ، وقد ساعد ذلك على بلوغ الموصل غاية شهرتها فى صناعة التحف المكففة فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى . ويذكر ابن سعيد فى مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنية فى باريس انه عندما زار الموصل وجد فيها «صنایع جمّة ولاسيما اوانى النحاس المظعم الذى كان يحمل منها الى الملوك ...»^(٩٣) .

ويذكر سبط ابن الجوزى رواية يصف هزيمة بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل على يد الخوارزميين فى سنجار سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م فيقول ان لؤلؤ فر وحده يمتطى جوادا سريعا ، فاستولى الخوارزميون على قلاعه وكنوزه وممتلكاته ، وبيعت دواة مفضضة بخمسة دراهم ، بينما كانت قيمتها الاصلية تقدر بمائتى درهم ، كما بيع طست وابريق بعشرين درهما^(٩٤) .

ومما لاشك فيه ان مدينة الموصل تقدمت تقدما كبيرا فى فن تكفيت المعادن فى العصر العباسى الاخير ، وبرع الصناع المواصل فى هذا الفن براعة تشهد بها الامثلة الرائعة التى وصلت اليها من هذه الصناعة ، وقد طبق الصناع المواصل فى كثير من الاحيان طريقة مغايرة فى التكفيت ، للطريقة التى اوضحناها ، وهى تكفيت الارضية كلها وترك الزخارف على حالها من النحاس او البرونز وهى عكس الطريقة السابقة . وقد اقتصت الموصل بهذه الطريقة فى التكفيت ، وانفردت بها دون غيرها من المدن الاسلامية الاخرى^(٩٥) ، ويشهد ماوصل اليها من التحف المعدنية المكففة من صناعة الموصل والموزعة على متاحف العالم من علب وابريق ، وشماعد وطسوت ومقلمات وزهريات على تقدم الموصل فى هذه الصناعة فى اواخر العصر السلجوقى . ومن امثلة هذه التحف المعدنية الموصلية فى القرن السابع الهجرى ابريق نحاس مكفت محفوظ فى متحف المتروبوليتان من صناعة الصانع احمد الدقلى ، صنع سنة ٦٢٢هـ ، وشكل هذا الابريق^(٩٦) يماثل نظائره التى انتقلت من الموصل الى مصر

والشام . وهناك ابريق نحاسى مكفت بالفضة مؤرخ سنة ٦٢٩هـ محفوظ بالمتحف البريطانى من صنع شجاع بن منعة الموصلى (٩٧) . كذلك عرفنا بفضل البحوث القيمة التى قدمها الاستاذ سعيد الديوه جى ، أسماء العديد من الصناع المواصله من الكفتيين فى القرن السابع الهجرى ، ومنهم ابراهيم الموصلى الذى كان استاذاً فى فنه تعلم على يديه عدد من التلاميذ ، امثال قاسم بن على (٩٨) الذى كان ينقش على تحفه التى يصنعها «عمل قاسم بن على غلام ابراهيم الموصلى» ، واسماعيل بن ورد الموصلى الذى نقش على علبه نحاسية مكفتة قام بصناعتها «نقش اسماعيل بن ورد الموصلى تلميذ ابراهيم بن مواليا الموصلى» بتاريخ سنة ٦١٧هـ (٩٩) ، وحسين بن محمد الموصلى من الصناع المواصله الذين نزحوا الى الشام فى اوائل القرن السابع الهجرى (١٠٠) . ومنهم ايضا محمد والحسن بن عبسون من صناع التحف المعدنية المكفتة لبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (٦٣٠ - ٦٥٧ هـ) (١٠١) وابو بكر بن الحاج جلدك الموصلى (١٠٢) .

ولما سقطت الموصل فى ايدى المغول فى منتصف القرن السابع الهجرى ، هاجر الصناع المواصله الى الشام ومصر حيث استظلوا بحماية المماليك الذين لم يترددوا فى بسط هذه الحماية عليهم ، واسبغوا عليهم كل ضروب الرعاية والتشجيع ، وحاطوا هؤلاء الصناع بعنايتهم ، ولم يلبث الصناع المواصله الوافدون ان اندمجوا مع الصناع المصريين الذين اخذوا بأساليبهم فى التكفيت وطرائقهم فى الترصيع واجادوا هذا الفن على نحو يثير الاعجاب (١٠٣) . ولم تقض طريقة التكفيت على الطرق الصناعية الاخرى التى كانت شائعة فى القاهرة منذ العصر الفاطمى بل سار كل من الاسلوبين جنبا الى جنب . واصبحت صناعة التكفيت من الصناعات الرائجة فى القاهرة بحيث خصصت فى جملة الاسواق الصناعية والحرفية فى القاهرة فى القرن السابع الهجرى ، بعد قدوم الصناع المواصله ، سوق لصناعة التكفيت ، كان يعرف باسم سوق الكفتيين ، وكان يقع فى الشارع الممتد من الغورية الى الازهر (١٠٤) بحيث اصبح لا يخلو بيت فى القاهرة من عدة قطع نحاسية مكفتة ، ولا يخلو جهاز عروس من

دكة نحاسية مكفتة . ومن المعروف أن فن صناعة التكفيت ازدهر في مصر في القرن السابع الهجري عندما كان سلاطين بنى ايوب يحكمون مصر ، اشتغل بها طائفة من المصريين وفئة من المواصلة كانوا يقومون بصناعة بعض التحف المعدنية المكفتة لسلاطين بنى ايوب ويبعثون بها اليهم . ومن امثلة ما انتجته مصر في النصف الثاني من العصر الايوبي من الابريق النحاسية المكفتة بالفضة ، ابريق محفوظ في متحف المتروبوليتان بنيويورك ، عمل الفنان الموصلى عمر بن الحاج جلدك ، غلام وتلميذ الاستاذ الموصلى احمد الذكى . وقد صنع هذا الابريق سنة ٦٢٣هـ (١٠٥) ، وشمعدان يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة صنعه الفنان الموصلى الحاج اسماعيل الموصلى ، وتولى نقشه محمد بن فتوح الموصلى سنة ٦٢٩هـ (١٠٦) ، وابريق من النحاس الاصفر ، مكفت بالفضة يمثل اسلوب مدرسة الموصل فى اوائل القرن السابع الهجرى ، الذى سيروج فى مصر والشام فى النصف الثانى من نفس القرن بعد سقوط الموصل فى ايدى المغول وهجرة عمالها وصناعها الى هذين البلدين ، صنع هذا الابريق الاستاذ احمد بن عمر الذكى النقاش الموصلى للملك العادل الايوبي سنة ٦٢٠هـ فى الموصل (١٠٧) .

كذلك قام احمد بن عمر الذكى بصناعة طست مكفت تكفيتا غزيرا بالفضة سنة ٦٣٧هـ للسلطان العادل أبى بكر الايوبي ، ويحتفظ به متحف اللوفر (١٠٨) . كما صنع نفس الفنان شمعدانا من النحاس المطعم لنفس السلطان سنة ٦٢٠هـ ، وهو ضمن مجموعة فى نيويورك (١٠٩) .

أما أشهر الصناع المواصلة الذين هاجروا الى مصر وعملوا بها عقب الغزو المغولى للعراق فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، ونقلوا اسلوبهم الفنى معهم الى مصر وخلفوا نماذج عديدة من روائع التحف والمصنوعات المعدنية فنخص بالذكر منهم الفنانين الصناع الاتية اسماؤهم :

١ - ابن المعلم ، محمد بن سنقر البغدادى السنكرى ، هاجر ابن

سنقر الى القاهرة بعد نكبة الموصل على ايدى التتار واقام فيها بصورة دائمة (١١٠) . ويعتقد بعض الباحثين أن اسرة ابن سنقر تخصصت في صناعة المعادن المكفتة بعد هجرتهم الى مصر ، فقد وصل اليها اسم صانع آخر ربما كان ينتمى الى نفس الاسرة منقوشا على دواة معدنية مكفتة بالفضة مصنوعة سنة ٦٨٠هـ ومحفوطة في المتحف البريطانى ، ويؤكد ذلك الافتراض أن محمد بن سنقر كان يوقع بلقب « ابن المعلم » وربما كان يشير هذا الى أن والده كان يعمل صانعا للمعادن لقن اولاده اسرار هذه الصناعة ، فقد كان شائعا في ذلك العصر توارث افراد الاسرة الواحدة نفس الحرفة (١١١) .

وقد ارتبط اسم محمد بن سنقر البغدادي باسم السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ، فقد وصل اليها كرسى عشاء معدنى محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، يحمل توقيع الصانع محمد بن سنقر ويرجع تاريخ صناعته الى سنة ٧٢٨هـ . والكرسى يتخذ شكلا منشوريا سداسى الاضلاع تعلوه قرصة سداسية ايضا ، يرتكز على ستة أرجل قصيرة وزوده الصانع بباب صغير فى احد جوانبه ، ومن الجدير بالذكر أن الصانع سجل توقيعه فى ستة مناطق صغيرة مزواة تعلو أرجل الكرسى . ويقرأ التوقيع كما يلى « عمل العبد الفقير الراجى عفو ربه المعروف بابن المعلم الاستاذ محمد بن سنقر البغدادي السنكرى وذلك فى تاريخ سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فى أيام مولانا الملك الناصر عز نصره » (١١٢) .

وقد سمي هذا الكرسى بكرسى العشاء لارتباط هذه النوعية حديثا بحمل صوانى الطعام فوقها ، ولم يقتصر استخدام الكراسى على تلك الوظيفة ، فقد استخدم الكرسى أيضا كمنضدة يحمل فوقها المصحف الشريف .

ولقد جمع ابن سنقر البغدادي فى كرسى الناصر محمد هذا ، بين معظم العناصر الزخرفية التى عرفت فى الفن الاسلامى ، فاستخدم رسوم التوريق العربية والزخارف الهندسية النجمية الشكل ، والتى تضم

مثلثات ومعينات صغيرة ، كما استخدم رسوم الكائنات الحية مثل رسوم بط. طائر في قرصة الكرسي العليا مع الزخارف الكتابية المثلثة في كتابات بالخط الكوفى وخط الثلث (١١٣) . ومن التحف التى وصلت إلينا من صنع محمد بن سنقر البغدادي ، وزودها بتوقيعه صندوق مصحف خشبي مغطى بطبقة نحاسية مكففة بالذهب والفضة محفوظ اليوم بمتحف برلين صنعه ابن سنقر وطعمه الحاج يوسف بن الغوابي ، وهذا مثال على تصفيح الخشب بطبقة نحاسية مكففة (١١٤) .

وقد لقب ابن سنقر نفسه في توقيعه على كرسي العشاء بالاستاذ ، والسنكري ، وهذا يعنى أنه كان قد تخطى وقت صناعة الكرسي سنة ٧٢٨هـ من الشباب حيث أنه تلقب بالاستاذ وهو لقب لم يكن يحمله إلا الصانع الماهر الذى قطع شوطا طويلا في صناعته . أما السنكري فيدلنا على تخصصه في أعمال السنكرة ، التى ربما اتسع مدلولها في ذلك العصر ليشمل مجال الصناعات المعدنية (١١٥) .

٢ - احمد بن باره الموصلى ، من المطعمين المواصلة الذين نزحوا الى مصر بعد سقوط الموصل في ايدى التتار ، وعاشوا في اواخر القرن السابع الهجرى واولائل القرن الثامن . ومن التحف التى قام بصناعتها ولا تزال محفوظة في مكتبة الجامع الازهر بالقاهرة ، صندوق مكفف بالفضة والذهب للربعة الشريفة باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كتب عليه اسمه وتاريخ صنعه تحت غطاء القفل : « من صنعة احمد بن باره الموصلى ، في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » (١١٦) .

٣ - حسين بن احمد بن حسين الموصلى ، نزح الى مصر في اواخر القرن السابع الهجرى ، وانتج تحفا جميلة لسلطين بنى رسول باليمن حيث كان ملوك اليمن يسعون الى صناع مصر المملوكية كما سبق أن اوضحنا .

ومن التحف التى تنسب اليه صينيتان كبيرتان باسم السلطان المؤيد

داوود بن يوسف من سلاطين بنى رسول ، صنعت احدهما فى القاهرة
على يديه (١١٧) .

٤ - على بن حسين بن محمد الموصلى وهو من الصناع الموصلة
الذين هاجزوا الى القاهرة عقب نكبة الموصل على ايدى التتار . ومن
اهم التحف التى قام بصناعتها :

١ - طست نحاس صنعه فى القاهرة سنة ٦٨٤ هـ .

٢ - شمعدان صنع فى القاهرة .

٣ - ابريق نحاس ، استخدم فى زخرفته الكتابة والتوريقات
النباتية والرسوم الهندسية المتشابكة بالاضافة الى صور آدمية ،
وقد كتب على الابريق بخط النسخ : « عز لمولانا السلطان
الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف ابن السلطان الملك
المنصور عمر » . نقش على بن حسين بن محمد الموصلى
بالقاهرة فى شهور سنة اربع وسبعين وستمائة » .

وكانت هذه التحفة مصنوعة لملك اليمن يوسف بن عمر بن رسول
(٦١٩ - ٦٩٤ هـ) (١٢٢٢ - ١٢٩٥ م) ثانى ملوك الدولة الرسولية
فى اليمن (١١٨) . وتذكر الدكتورة سعاد ماهر ان التحف المعدنية بمصر
الملوكية انفردت بظاهرة اختفاء الرسوم الادمية والمناظر التصويرية
اختفاء يكاد يكون تاما ، ذلك ان الممالك لم يرغبوا بالصور التى كان
ينقشها الفنانون الموصلة ، فحل محلها الخط الثلث الملوكى الجميل
المرسوم على ارضية موزقة ، وقد تظهر عناصر حيوانية محورة فى كثير
من الاحيان وصغيرة الحجم بحيث تبدو وكأنها ورقة او زهرة او ثمرة
نباتية . كما كان الصناع كثيرا ما يكتبون على التحف اسماء السلطان
والقاه ويتفننون فى طريقة كتابتها (١١٩) .

وهكذا يتبين لنا ان الاساليب الموصلية والمصرية فى تكفيت المعادن

قد امتزجت تماما في النصف الثاني من القرن السابع الهجرى ، فتبلور عن ذلك الطراز المملوكى المصرى فى صناعة التحف المعدنية . ثم انتقل هذا الطراز المصرى الجديد الى الغرب الاوروبى عن طريق التبادل التجارى بين مصر والبلاد الاسلاميه والمدن الايطالية ، فانتقل هذا الطراز الفنى المميز الى اوربا الغربيه ، وتهاقت صناعات التحف المعدنية فى اوربا على تعلم هذه الصناعة ، خاصة صناعات البندقية وجنوه وغيرهما من مدن ايطاليا فى العصور الوسطى . ولم يتردد حكام الامارات الايطالية فى استقدام عدد من الصناع المشارقة للاستفادة من خبراتهم ، فنشأت بعد ذلك مدرسة معروفة فى اوربا وفق فيها الصناع بين الصناعة العربيه والذوق الاوروبى فى عصر النهضة عرفت بمدرسة البندقية الشرقيه .

وسوف يظهر ذلك التأثير فى التحف المعدنية الايطالية فى القرون التالية ، وخير مثال على ذلك صينية من النحاس المكفت بالفضة من صناعة البندقية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، محفوظة فى متحف فيكتوريا والبرت بلندن وهذه الصينية تجمع بين التكفيت بالفضة، والترصيع بالمينا (١٣٠) .

ب - الخط فى القرن السابع الهجرى والصناعات المرتبطة به :

قادتنا دراستنا للتحف المعدنية المكفتة فى مصر فى القرن السابع الهجرى الى نقطة هامة تتعلق بالخط وصنعتة والصناعات المتعلقة به فى هذا القرن ، فقد اتخذت الكتابة اداة للتزيين ، وعنصرا زخرفيا هاما . هذا وقد لاحظنا من توقيع محمد بن سنقر البغدادى على كرسى العشاء المنسوب الى السلطان الناصر محمد ان صياغة التوقيع اتخذت اسلوب الترجمة مما يشير الى انها كتبت على لسان الصانع نفسه وبخط يده خاصة وان الخط الذى كتب به التوقيع يماثل الخط الذى نفذت به الكتابات الاخرى على الكرسى . وبالتالي فاننا نأخذ برأى علماء الآثار الذين يؤكدون بأن الصانع محمد بن سنقر البغدادى كان يجيد فن الكتابة الى جانب مهارته فى صناعة المعادن وتكفيتها . وكان يستخدم النقوش

الكتابية عنصرا زخرفيا رئيسيا لتجميل التحف المكففة التي يقوم بصناعتها (١٣١) .

وهذا يعنى ان هناك دورا لعبه الصناع العراقيون في مصر في القرن السابع الهجرى فيما يتعلق بمجال الخط والكتابة والصناعات المرتبطة بهما . وقبل ان نبدا في استعراض اهم الخطاطين والكتاب العراقيين في مصر في القرن السابع الهجرى ، يجدر بنا ان نوضح ان الخط في مصر في هذا القرن تآثر بمدارس عراقية من الاساس اهمها مدرسة ياقوت المستعصى (١٣٣) (ت سنة ٦٩٨ هـ ببغداد) الخطاط الشهير الذى كان يكتب على طريقة ابن البواب (١٣٣) (واسمه على بن هلال ت سنة ٤١٣ هـ) . ولقد بدا الخط النسخى ينافس الخط الكوفى منذ طليعة القرن السادس الهجرى . وكان الوزير العباسى محمد بن على بن مقله الذى ولد سنة ٢٧٢ هـ ، وتوفى سنة ٣٢٨ هـ اول من هذب وطور حروف الطومار والجليل واستنبط منهما الخط البديع الذى عرف بخط النسخ (١٣٤) .

وتعتبر جهود ابن مقله المشعل الذى اضاء الطريق لمن جاء بعده مثل الخطاط ابن عبد السلام ، وعلى بن هلال (ابن البواب) الذى اخذت عنه من بعده الكاتبة الشيخة فاطمة بنت الحسن العطار المعروفة ببنت الاقرع (ت سنة ٤٨٠ هـ) (١٣٥) ثم الكاتبة الشيخة المحدثه شهدة بنت احمد الابرى (توفيت ببغداد سنة ٥٧٤ هـ) (١٣٦) وآخرهم ياقوت بن عبد الله (مملوك الخليفة العباسى) المستعصى البغدادى ، الذى اخذت مدرسة مصر على خطه وفنه ، فقد شهدت القاهرة في العصر الايوبى مرحلة التحول من استعمال الخط الكوفى كخط رسمى الى استعمال الخط النسخى في تدوين المصاحف والكتابة على العمائر والتحف الصناعية والفنية المختلفة . ويعتبر العصر المملوكى بداية من النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، العصر الذهبى للخط النسخى لاسيما ما عرف من فروعه باسم الخط الثلث . ومن اهم العوامل التى ساعدت مصر على تفوقها في هذا المجال ، سقوط بغداد في ايدى المغول في ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ ،

فقد هاجر اليها والى الشام اعلام الخطاطين ، ولذلك فان مدارس الخط العربى فى مصر والشام افادت كثيرا من العراقيين ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى المقدمة « ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية ، وتناقصت ، تناقص ذلك اجمع ، ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة ، فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة ، فلم تزل اسواقه بها نافعة لهذا الجهد ، وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين فى وصفها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم ان يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع ، وقد لقنها حسنا ، حذق فيها دربة وكتبا واخذها فوانين عملية فتجىء احسن ما يكون ... » (١٣٧) .

ولم يقف الخطاطون المصريون بعد القرن السابع الهجرى على تقليد الخطوط التى اخذوها عن مدارس العراق ، وانما بداوا بعد هذا القرن فى تطويرها وانفردوا باسلوب ذاتى بحيث تميزت منتجاتهم الفنية عن المنتجات الفنية المعاصرة لهم فى كل من ايران وبغداد والمغرب العربى بما كانت تحمله من كتابات بخط الثلث المملوكى (١٣٨) .

وعاش الخط الكوفى فى العصر المملوكى جنبا الى جنب مع الخط الثلث ، واشتركا معا فى زخرفة الكثير من العماائر والمنتجات الصناعية المختلفة ، فكان الخطاط فى كثير من الاحيان يستعملهما فى زخرفة تحفة واحدة (١٣٩) او اثر معمارى واحد .

امثلة لاهم واشهر الخطاطين العراقيين فى مصر فى القرن السابع الهجرى:

١ - ابن العفيف هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الشيخ ، الكاتب ، المجود عماد الدين الانصارى الشافعى ، يرجع اصله الى بلاد ماوراء النهر ، ولكنه نشأ بالعراق واخذ الخط عن والده ، وكان والده من تلاميذ ياقوت .

انتقل ابن العفيف الى مصر وعاش بها فى القرن السابع الهجرى ، وجزءا من الثامن ، وتوفى بالقاهرة فى الثمانين من عمره سنة ٧٣٦ هـ ،

ودفن بالقرافة ، وقد أثرت طريقة ابن العفيف في الكتابة ، المأخوذة عن ياقوت ، في أسلوب الكتابة في مصر في القرن الثامن الهجرى (١٣١) .

٢ - ابن الوحيد ، هو شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف المصرى الكاتب ، يرجع الى اصول شامية ، فقد ولد بدمشق سنة ٦٤٧ هـ (١٣١) وتوفى في شعبان سنة ٧١١ هـ ، ولكنه رحل الى العراق وعاش بها ، ثم اتصل ابن الوحيد بالسلطان بيبرس الجاشنكير ، ويبدو انه عاش بمصر فترة طويلة حيث انه نسب اليها كما يذكر ابن حجر العسقلانى .

كتب ابن الوحيد لبيبرس ، ختمة في سبعة اجزاء بليقة الذهب بقلم الثلث في القطع البغدادي ، وكان الجاشنكير قد منحه قبل السلطنة جملة من الذهب استخدم ابن الوحيد جزءا منها في الكتابة واخذ الباقي . وقلده بيبرس الجاشنكير كاتبا بديوان الانشاء بالقاهرة (١٣٣) . ولم يكن في زمانه من يدانيه ، وكان يبيع المصحف نسخا بلا تذهيب ولا تجليد بالف ، وكان بعض تلاميذه يحاكون خطه ، وكان المصحف يشتري من تلميذه باربعمائه .

ومن نماذج خطه عشر المصحف الشريف المحفوظ في المتحف البريطاني ، وله مصحف بخطه محفوظ بدائر الكتب المصرية ، ومن مؤلفاته :

شرح منظومة ابن البواب ، منه نسخة في خزانة بايزيد العامة باستانبول وفي الخزانة التيمورية بالقاهرة . وايضا له « لمحة المختطف في صناعة الخط الصلح » منها نسخة بخزانة بايزيد باستنبول (١٣٣) .

وقد اورد ابن حجر بعض أبيات من قصيدة له منها :

يقولون لى من ارغد الناس عيشة
ومن بات عن سبل المخاوف نائيا

فقلت لبیب عارف قهر الهوى
وصار بحکم الله والرزق راضیا (١٣٤)

٣ - محمد بن نجیب بن محمد الخلاطی الكاتب المجود ، ولد
سنة ٦٦٠ هـ ، ذکر ابن حجر أنه «تعانى فی الخط المنسوب ، ففاق وكتب
لناس علیه . . . » أقام بدمشق فترة وعمل بها امام القرية القيمرية
ثم انتقل الى القاهرة وتوفى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٥) .

٤ - غازى بن احمد الكاتب (شهاب الدين) بن الواسطی ، ولد
بحلب سنة بضع وثلاثین وستمائة ، وعمل فی كتابة الجيش هناك . ثم
انتقل الى القاهرة وكتب بديوان الانشاء بها . يذكر ابن حجر انه كان
يكتب خطا حسنا ، وانه ولى الى جانب الكتابة فی ديوان الانشاء نظر
الدولة بديار مصر . ويبدو انه لم يقض باقى حياته فی مصر اذ انتقل
الى حلب مرة ثانية ليتوفى بها سنة ٧١٢ هـ (١٣٦) .

٥ - ضياء الدين محمد بن محمد بن محمد البغدادى الوراق المصرى ،
ولد بعد سنة ٦٩٠ هـ ، وكان يتميز بجمال خطه ، أقام بالقاهرة حتى توفى
سنة ٧٤١ هـ (١٣٧) .

٦ - عبد الكريم بن عمر الانصارى ، علم الدين العراقى ، ولد
بمصر سنة ٦٢٢ هـ ، عرف بجودة خطه ومهارته فى الكتابة ، ونسخ للماوردي
الحاوى مرتين . وعمل خطيبا لجامع مصر ، كما مهر فى العلوم الشرعية
كالفقه والاصول واللغة العربية ، وكذلك كان يجيد النظم والنشر . توفى
فى ٧ صفر سنة ٧٠٤ هـ (١٣٨) .

٧ - عمر بن على بن أبى بكر بن محمد بن الموصلی ، ولد
بميفارقين سنة ٦١٤ هـ ، وعاش بمصر ، وتفقه ودرس وافتى وحدث ،
واشتهر بخطه الجيد ونظمه الحسن ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٩ هـ ، ودفن
بسفح المقطم (١٣٩) .

٨ - محمد بن يوسف بن عبد الله الجزرى ، عرف بابن الحشاش ، ولد سنة ٦٢٠ هـ وتوفى سنة ٧١١ هـ ، وقدم الى الديار المصرية ، وسكن قوص وقرا على الشيخ شمس الدين الاصبهانى حاكم قوص فى ذلك الوقت ثم رحل عنها الى القاهرة . اتقن محمد بن يوسف كل الفنون ، ولكنه اهتم بالاقراء وعمل خطيبا بجامع القلعة ، ومن بعده تولى الخطبة بجامع ابن طولون ، كما درس بالمعزية بمصر وله شرح فى الفية ابن مالك . وله ديوان خط ، وشعر (١٤٠) .

٩ - عبد الرحيم بن على بن عبد الرحيم ، الاستاذ فى شد البياكيم ، البغدادى ولد سنة ٦١٤ ، وتفقه بمصر ، وكان ينسخ القرآن على النسخ ويعتمد على بياكيمة لتحريرها وتوفى سنة ٧١٩ هـ (١٤١) .

١٠ - محمد بن ابراهيم بن ساعد البخارى المعروف بابن الاكفانى وكان له حظ فى الخط وسوف نتحدث عنه عند حديثنا عن الحياة العلمية لما كان له من اسهامات فى الطب ، ومعرفة بالجواهر والعقاقير (١٤٢) . هذا بخلاف المخطوطتين القاهريتين المزوقتين اللتين نسختا على يد ناسخ موصلى . واما المخطوطة الاولى فنسخه من كتاب الحشاش او خواص العقاقير لديسقوريدس وتحفظ بها اليوم مكتبة متحف طوبقاسو سراى باستنبول ، ونسخت على يد ابنى يوسف بهنام بن موسى يوسف الموصلى الطبيب سنة ٦٢٦ هـ (١٤٣) . وتتكون من ٢٤٤ ورقة قياس ٤٠ سم X ٢٤ سم ، وزين غلافها الجلدى برسوم هندسية ونباتية دقيقة ، وتشتمل على ٥٦٢ تزويق لتوريقات نباتية وعشرة رسوم لحيوانات وثلاثة لطيور ، بالاضافة الى منمنمة الاهداء ، وصورة المؤلف .

اما المخطوطة الثانية التى نتبين من اثبات اسم ناسخها انه موصلى فقد نسبت الى عصر السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ابنى بكر بن ايوب . وتتسم منمنمات هذه المخطوطة بالوانها القاتمة ، اما خطها فيخضع لاسلوب النسخ الموصلى (١٤٤) .

هذا وقد أدى الاقبال على الخط والكتابة الى العناية بادواتهما ، وعلى هذا النحو تفنن الصناع في صناعة هذه الادوات حتى أصبحت تلك الادوات تحفا فنية تبهر الانظار ، ومن هذه الصناعات ، صناعات الدوايا (المقلّمات) المعدنية والمكفّنة بالذهب والفضة ، وقد ازدهرت صناعة هذه الدوايا المعدنية في مصر في عصر الايوبيين والمماليك بداية من القرن السابع الهجرى ، وسوف توالى صناعة الدوايا تطورها في العصر المملوكى في القرون التالية . ومن أمثلة الدوايا المعدنية المصنوعة في القرن السابع الهجرى دواة من النحاس مكفّنة بالذهب والفضة يزدان غطاؤها بصور بروج ، مرسومة داخل ثلاث جامات بداخل كل جامة أربعة أبراج ، وعلى غطاء الدواة زخرفة فيها مصطلحات فلكية ، وقد كتب عليها اسم صانعها محمود بن سنقر وتاريخ صنعها سنة ٦٨٠ هـ ، ولكن لم يسجل عليها اسم البلد الذي صنعت فيه . وهذا التحفة محفوظة في المتحف البريطانى . ويرجح بعض العلماء أن يكون محمود بن سنقر هو أخو محمد ابن المعلم سنقر البغدادى المقيم بمصر كما سبق أن ذكرنا (١٤٥) ، ولدينا مثال آخر لدواة معدنية يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى يرجع تاريخ صنعها الى سنة ٧٦٤ هـ ، وهى دواة رائعة الجمال تعبر بدقة زخارفها وتقانة صنعها عن ازدهار هذا الفن في الفترة السابقة لصناعتها لانه لايمكن أن تظهر هذه التحفة بهذا الجمال والدقة في الصنعة بين يوم وليلة ، فلا بد من وجود خلفية فنية سابقة حتى تظهر هذه التحفة بهذا الابداع والتميز (١٤٦) .

ومن الصناعات المرتبطة بالكتابة والخط ، الوراقة . وقد اتسعت كلمة وراقة فاصبحت تطلق في بغداد على من يصنع الورق أو يبيعه أو يقوم بالاستنساخ (١٤٧) . فاصبح الوراق هو من يكتب المصاحف وكتب الحديث أو من يبيع الورق .

وكانت بغداد في اواخر القرن الثانى للهجرة ، من أهم مراكز صناعة الورق من الالياف والقطن والقنب والخرق البالية ، واشتهر الورق الغراقى كما سبق أن ذكرنا ، وكان سلاطين مصر المملوكية في القرن السابع ، يعتمدون

في الرسائل الرسمية ، وكتابة المصاحف كما ذكر القلقشندي على الورق العراقي (١٤٨) .

ومن أشهر الوراقين وتجار الكتب العراقيين في مصر في أواخر القرن السابع الهجري ، عبد اللطيف بن عبد العزيز ابن ذواله الحراني ، المعروف بابن المرجل ، وكان الى جانب اشتغاله بالتجارة في الكتب والورق في مصر ، يدرس بالجامع الحاكمي النحو واللغة والقراءات والبيان . وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٤ هـ (١٤٩) . هذا بخلاف محمد بن محمد بن محمد البغدادي ، الخطاط ، الوراق ، المصري الذي سبق أن تحدثنا عنه (١٥٠) .

ج - صناعة النسيج :

ازدهرت صناعة النسيج في مصر منذ أقدم العصور وذاعت شهرة مصر في هذه الصناعة قبل الفتح العربي ، إذ كانت الكعبة تكمى بالقباطي ، واستمرت مصر تنتج أفخم أنواع النسيج طوال العصور الإسلامية . وبلغت قمة ازدهارها في صناعة النسيج في العصر الفاطمي .

ويذكر المقرئ في الخطط ، وصف الخزائن الكسوات في العصر الفاطمي وما فيها من شقق إسكندرانية وديباج ملون وسقلاطون وشروب وحرير دبيقى ، وطيلسانات (١٥١) . ويصف ناصر خسرو علوى القصب الملون الذى كانت تصنع منه العمائم والطواقى وملابس النساء فيذكر أنه كان لا ينسج في أى مكان آخر قصب يوازيه في الجودة والجمال .

وفي العصر الأيوبي تركز اهتمام الأيوبيين على الجهاد ضد قوى الصليبيين مما أدى الى توقف دور الطراز التى زخرت بها القاهرة زمن الفاطميين (١٥٢) عن الانتاج الوفير ، ولذلك فان صناعة النسيج في مصر في النصف الاول من القرن السابع لم تبلغ في الانتاج ما كان يتم في العصر الفاطمي . ولكن منذ ان دخلت مصر في فلك دولة المماليك ، بدأت مصر تستعيد شهرتها في صناعة المنسوجات بفضل تشجيع سلاطين المماليك وما

كان يصطنعه امراء المماليك من مظاهر البذخ الزائد والفخامة . وتنوعت الاعمشة في العصر المملوكي فمنها ماكان منسوجا من القطن أو الحرير أو الصوف أو ماكان مطرزا بخيوط حريرية تشكل العناصر الزخرفية فوق ثوب القماش مباشرة أو فوقه بعد تنجيده بطبقة من القطن المندوف توضع بين طبقتين من القماش قبل تطريزه ، ومنها أن يثبت قماش ذو زخرفة معينة على قماش آخر بلون مغاير . وعلى هذا النحو كانت مصر احدى الدول الاسلامية التي تفوقت في صناعة النسيج .

اما العراق فقد اشتهر بدوره منذ أقدم العصور التاريخية بصناعة النسيج ، وكانت الموصل ، قاعدة بلاد الجزيرة ، أهم مراكز العراق في حياة المسوح والستور منذ القرن الثالث للهجرة ، وقد ساعدت زراعة القطن في ارض الجزيرة على اقبال اهل الموصل على غزله ونسجه وتصديره (١٥٣) وقد نشطت صناعة النسيج بصفة خاصة زمن بنى زنكى الذين نهضوا بالزراعة والصناعة والعلوم والفنون . ومن أشهر منسوجات الموصل الشاش الموصلى (١٥٤) . ولايجوز القول بأن العراقيين في مصر اثروا على صناعة النسيج بها لان مصر من البلاد الاسلامية التي تفوقت في صناعة النسيج ، وكانت لمنسوجاتها شهرة لاتقل بأى حال من الاحوال عن شهرة العراق ، ومع ذلك فان الشاش الموصلى كان من بين المنسوجات التي كانت لها سوق رائجة في مصر لجماله وروعته ، كما كان يصدر الى الشام وفارس ، ومن فارس الى بلاد الشرق المختلفة ، ومن مصر كان يحمل الى الغرب الاوروبى (١٥٥) . وكان للحرير الموصلى المعروف بالموصلى (موسلين) شهرة عالمية وكان يصنع من الحرير الخالص المزوج احيانا بالقطن . ويتخذ له حواشى مقصبة ويطرز بالاشربة الكتابية بالاضافة الى رسوم توريقات وتشجيرات مختلفة ورسوم حيوانات وطيور . وكان يتم تنفيذ الزخرفة على نسيج الموسلين بخيوط من الذهب والفضة ، وقد انتشر الموسلين عن طريق التجارة الى الشام ومصر ، ومنها الى البندقية ومرسيليا كما وصل الى الهند والصين (١٥٦) .

٢ - اسهام العراقيين في الحركة التجارية بمصر في القرن السابع الهجرى:

واصلت التجارة في العراق في اواخر العصر العباسى الاخير ، اى في النصف الاول من القرن السابع الهجرى، نشاطها، فكانت اسواق العراق عامرة بالبضائع المصنوعة بالعراق او المجلوبة من الخارج كما شاهدها ووصفها الرحالة امثال ابن جبير وابن بطوطة . وقد وصل التجار العراقيون في رحلاتهم حتى الصين في الشرق وبلاد الروس والخزر والروم في الشمال ، والى مصر وبلاد المغرب والاندلس في غرب العالم الاسلامى ، والى الخليج وجزيرة العرب في الجنوب . وكان التجار ينقلون معهم بضائع العراق ومنها الحرير والشاش الموصلى ويجلبون معهم بضائع البلاد التى يصلون اليها . وكانت الحكومة العباسية تتدخل احيانا في الحركة التجارية لمصلحة المستهلكين وحماية الاحتكار ، ومن أشهر المدن التجارية في العراق في اواخر العصر العباسى الاخير ، تكريت وبغداد والموصل (١٥٧) ، ومن التجار العراقيين الذين زاروا مصر في رحلاتهم التجارية محمد بن على ابن المبارك الجلاجلى ، فقد دخل مصر وخراسان وبلاد ماوراء النهر وتوفى في احدى رحلاته التجارية سنة ٦١٢هـ ، وكان قد تولى وكالة أم الخليفة الناصر العباسى سنة ٥٨٢هـ ثم اضيفت اليه وكالة احد أمراء البيت العباسى (١٥٨) .

اما في مصر فنجد ان الاسكندرية كانت طوال العصر الايوبى سوقا هاما للتجارة العالمية ، فكانت تتدفق عليها منتجات الشرق من طيب وياقوت وعطور وتوابل ، وقد عنى الولاة الايوبيون بالاسكندرية وحرصوا على تأمين التجار الوافدين مما أدى الى دخول اعداد كبيرة من التجار الفرنج اليها . ويذكر المقرئى انه كان بالاسكندرية نحو ثلاثة آلاف تاجر من الفرنج في سلطنة الملك العادل سنة ٦٠٨هـ اى في اوائل القرن السابع الهجرى (١٦٠) . ويذكر الرحالة الاندلسى اليهودى بنيامين التطيلى ان التجار من جميع الشعوب الاوربية اجتمعوا بالاسكندرية ، وكان لكل بلد فندق (١٦٠) . وكانت السفن تصل الى الاسكندرية من الفسطاط ، عبر خليج الاسكندرية حاملة الكتان والبهار والسكر ثم تعود من الاسكندرية

تُحاملة الأخشاب والحديد المستورد من الخارج الى مصر برسم عمارة السفن (١٦١) . وكانت الدولة الايوبية منذ القرن السادس الهجرى ، وحتى النصف الاول من القرن السابع تفرض على التجار الرسوم الباهظة بعد اجراء تفتيش شامل على ما يحملونه لظروف الحروب ضد الصليبيين (١٦٢) . واستمر ذلك الوضع قائما في عصر المماليك (١٦٣) حتى نهايته . ومن اهم المدن التجارية الاخرى في مصر في القرن السابع الهجرى القاهرة والفسطاط وقوص وعيذاب ودمياط . وعقب استيلاء المغول على العراق في منتصف القرن السابع الهجرى ، بدأ التجار العراقيون ينتقلون باعداد وفيرة الى مصر وغيرها من الاقطار . ويعتقد أن نصيب الاسكندرية من التجار العراقيين المهاجرين الى مصر كان اكبر من غيرها من المدن ، للعوامل التى ذكرناها الان .

وفيما يلى استعراض لاهم الشخصيات والاسر التجارية العراقية فى مصر ، وفى الاسكندرية :

١ - آل الكويك التكريتيون العراقيون بالاسكندرية :

ان اسرة التكريتى المعروفين بآل الكويك الكارميين كانوا من بين من هاجر الى الاسكندرية ، واشتغلوا بتجارة التوابل فى القرن السابع الهجرى ، واثروا ثراء فاحشا .

ومن أشهر أفراد هذه الاسرة التاجر الكارمى شمس الدين محمد بن محمود بن ابي الفتح ابن الكويك ، الذى كان مقيما بدمشق (١٦٤) ، ثم رحل منها الى الاسكندرية ، واقام بها وصار من أشهر التجار الكارمية وتوفى بها سنة ٧١٤ هـ (١٦٥) . وهو عم عبد اللطيف بن احمد ابن محمود (١٦٦) الذى بنى دارا للحديث فى الاسكندرية علم فيها الحديث (١٦٧) . وقد انجب عبد اللطيف ولدين كانا من أشهر تجار الكارم بالاسكندرية هما ابو اليمن بن عبد اللطيف ، وابو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكويك (١٦٨) . وابو جعفر محمد هذا تلقى دروسه بالاسكندرية من الركن العتبى ، والسديد بن الصواف وغيرهما . وهاجر

بالاسكندرية عز الدين بن جماعة وناب عنه وبأشر نظر الإحباس ، كما جمع له معجما وفهرسا حافلا ، ودرس بقبة بيبرس وعاش فترة طويلة في القرن الثامن الهجرى (١٦٩) فقد توفى سنة ٧٦٩ هـ .

ومن أفراد هذه الاسرة أيضا من تجار الكارم في أواخر القرن السابع الهجرى محمد بن الحسين بن محمود بن أبى الفتح بن الكويك ، ابن عم شمس الدين محمود بن محمود ، لقب بشرف الدين المصرى ، وكان على حد قول ابن حجر « من أعيان التجار الكارمية وله اسهامات في الحياة العلمية حيث ابنتى المدرسة الكبيرة بمصر ، وخصصها لتدريس الحديث ووقف عليها الاوقاف الكثيرة ، ومات وهو مجاور بمكة سنة ٧٦٤ هـ تاركا الاموال الكثيرة التى بددها ولده تاج الدين محمد في سنة واحدة (١٠٧) . ومن أشهر أفراد اسرة الكويك في الاسكندرية أيضا ، عبد اللطيف بن رشيد ابن محمد بن رشيد الربعى التكريتى . وهو الذى ابنتى بها دار الحديث التكريتية لتدريس الفقه (١٧١) والحديث على المذهب الشافعى . وتقع في شارع البلقراطية بقسم الجمرك ، وتحفظ هذه المدرسة التى تحولت الى زاوية في يومنا هذا باللوحة التأسيسية لها ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا . اوقف هذا المسجد المبارك ودار الحديث العبد الراجى ، رحمة ربه عبد اللطيف بن رشيد التكريتى ، لتلاوة الكتاب العزيز وقراءة الاحاديث النبوية وطلب العلم الشريف على مذهب الامام أبى عبد الله محمد بن ادریس الشافعى رحمة الله عليه في شهر المحرم سنة ثمان وسبعون وستمائى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه (١٧٣) » وذكر ابن بطوطة آل الكويك باعتبارهم أكبر أعيان الاسكندرية وتجارها . وأشار في رحلته الى أنهم تعرضوا لبعض الازمات والمشاكل عندما فرض عليهم احد الامراء واسمه طوغان ضرائب وأموال كثيرة (١٧٣) .

٢ - ومن تجار الكارم التكريتين في الاسكندرية عبد اللطيف بن رشيد بن محمد بن سديد الربعى التكريتى وكان من رؤساء الكارم بها ،

له نظم فائق ، وعرف بجودة كتابته . توفى سنة ٧١٤هـ ، وله من العمر ست وسبعون سنة (١٧٤) . وهكذا نرى أن تجار الكارم العراقيين ادوا دورا هاما في الحياة الاقتصادية والعلمية في الاسكندرية فاليهم يرجع الفضل في انشاء كثير من المدارس وذكر ابن شاهين الظاهري أن تاجرا بالاسكندرية يقال له الكويك عمر بنى مدرسة مشهورة صرف عليها جملة متحصل فائدة يوم واحد فقط (١٧٥) . وقد أخذنا بالراى الذى ينسب هذه المدرسة الى عبد اللطيف بن احمد بن محمود بن ابي الفتح بن الكويك التكريتى كما سبق أن ذكرنا (١٧٦) .

٣ - ومن تجار الكارم العراقيين بمصر ايضا محمد بن احمد بن عبد اللطيف الرندى التكريتى الاصل ، نزيل مصر ، وكان من اصحاب الاموال الوفيرة والكارمية المشهورين . وقد توفى سنة ٧٢٣هـ (١٧٧) . ومنهم ايضا احمد بن خالد الفارقى الاصل ، التاجر الكارمى الذى ترك لولده محمد أموالا طائلة ، وكان ولده محمد الذى ولد سنة ٦٦٠هـ من أشهر من عنى بالقراءات ، وسمع بالقاهرة والاسكندرية ومكة والمدينة (١٧٨) .

٤ - ومن التجار العراقيين بالاسكندرية رضى الدين ابراهيم بن البرهان عمر الواسطى التاجر ، ولد بواسط سنة ٥٩٣هـ وحدث بالاسكندرية ومصر والقاهرة واليمن . وكان من كبار التجار المعروفين باخراج الزكاة فكان يخرج من الزكاة فى كل سنة ألف دينار ، غير ما كان يتبرع به . وقد انفق كل ما كان يكسبه على التقرب لله ورأس المال بحاله لاينقض . وتوفى بالاسكندرية فى ١١ رجب سنة ٦٦٤هـ ودفن بالميناوين (١٧٩) .

٥ - وممن اشتغل بالتجارة فى مصر والقاهرة من أهل العراق ، عبد المؤمن بن عبد الوهاب البغدادى المعروف بابن المجير التاجر الموصلى الاصل (ت سنة ٧٤٢هـ) ، قدم الى مصر فى أواخر القرن السابع الهجرى وتقرب من الناصر محمد بن قلاوون ، وعمل عنده ، وكان مقداما جريئا

فخاف منه الناصر محمد فأبعده الى قوص حيث استقر واليا بها . وتوفى
الناصر محمد ، وهو لا يزال بقوص (١٨٠) .

٦ - ومنهم محمد بن على بن أبى طالب بن سويد التكريتى (١٨١)
التاجر الكبير الذى اشتهر بسعة ماله وجاهه . وكان مقيما فى بادية الامر
بالشام ثم دخل الديار المصرية وعمل فيها بالتجارة ولكنه غرم بها اموالا
طائلة تقرب من مليون درهم فعاد الى الشام مرة ثانية (١٨٢) .

٧ - ومنهم أيضا محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح الحرانى
الاصل ، القاهرى الدار ، ولد بحلب سنة ٦٤٠ هـ ، ورحل الى القاهرة
و « كان يبيع الصابون ثم صار يبيع اصنافا من المأكّل (١٨٣) » عرف عنه
العفة والصلاح وملازمته لاهل الخير وحبه لسماع الحديث . وتوفى
بالقاهرة سنة ٧١٠ هـ .

٨ - ومن الاسر العراقية التى عملت بالتجارة فى مصر اسرة عبد
المنعم ابن الصيقل الحرانى المصرى . ومنهم ولده الفقيه عبد العزيز ابن
الصيقل التاجر الذى عمل الى جانب التجارة بالفقه (١٨٤) . وقد
اشتهر بالروايات الغريبة والمغامرات . ويروى ابن الفرات بعض مغامراته ،
واشتغل ولده الاخر ابو الفرج عبد اللطيف ابن الصيقل الحرانى التاجر
مسندا للديار المصرية وولى مشيخه دار الحديث الكاملية وتوفى سنة
٦٧٢ هـ . وقد بلغ من العمر ٨٥ سنة (١٨٥) .

٩ - ومن تجار الكتب والوراقين فى مصر عبد اللطيف بن عبد
العزيز بن يوسف بن أبى العز تاجر الكتب بالقاهرة المتوفى فى سنة
٧٤٤ هـ (١٨٦) . ومحمد بن محمد بن محمد البغدادى الوراق المصرى
الذى سبق ان تحدثنا عنه (١٨٧) .

١٠ - ومن العراقيين الذين عملوا بتجارة الاحذية والنعال فى
القاهرة فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى أبو الحسن محمد بن
الانجب بن أبى عبد الله البغدادى النعال . توفى سنة ٦٥٩ هـ ودفن بسفح
المقطم (١٨٨) .

١١ - والقاضي صدر الدين موهوب بن عمر الجزري الذي عرف فيما بعد بالمصري الشافعي لطول اقامته بمصر ، ولد بالجزيرة من ارض العراق سنة ٥٩٠ هـ ، وعمل الى جانب القضاء بالتجارة (١٨٩) ، وكسب من وراء ذلك اموالا كثيرة .

١٢ - وابو الحسن علي بن ابي الفضل بن النجار البغدادي ، البزاز الذي زار مصر وعمل تاجرا بها ، ولكنه عاد الى بلده بغداد حيث توفي سنة ٦١١ هـ (١٩٠) .

ثانيا - اسهامات العراقيين في مصر في الحياة العلمية

(١)

العلوم الدينية والتصوف

١ - الفقه والحديث وعلوم القرآن :

من أشهر العلماء العراقيين الذين عاشوا في مصر في العصر الايوبي منذ اواخر القرن السادس الهجري ، واولئل القرن السابع الهجري ، الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد الله الجلولي المقرئ ، للضريز ، عاش بالقاهرة ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات . كما اشتغل بالتفسير (١٩١) . وتوفي سنة ٦١٢ هـ . وقد توفي في نفس العام الشيخ البغدادي أبو عبد الله محمد ابن سليمان ، الذي حدث بمصر (١٩٣) .

ومنهم أبو محمد عبد الحكم بن أبو اسحق ابراهيم بن منصور الشيرازي الاصل العراقي النشأة المتوفى سنة ٦١٣ هـ ، وفد الى مصر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وتولى أبو محمد الخطابة بجامعة مصر بعد وفاة والده في سنة ٥٦٩ هـ ، وكان ينشئ لكل جمعة خطبة ، وكان والده يسمى في مصر بالعراقي ، وبالمصري في العراق وتوفي أبو محمد عبد الحكم في شعبان من سنة ٦١٣ هـ بمصر ودفن بسفح المقطم (١٩٣) . ومن فقهاء العراق الذين عاشوا في مصر في مستهل القرن السابع الهجري ، أبو العباس احمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلي ، وكان ينتسب الى اكبر بيوتات اربل ، وعمل حاجبا عند ملكها المعظم مظفر الدين بن زين . ثم انتقل الى الشام ومنها الى مصر ، وهناك عمل في خدمة السلطان الملك الكامل وعظمت منزلته عنده ، فجعله أميرا ، وكان متخصصا في الفقه للامام الغزالي ثم تغير عليه الملك الكامل واعتقله في سنة ٦١٨ هـ وهو بالمنصورة ، فلما انشده أبو العباس بعض أبيات شعرية أمر بالافراج عنه . ولعب أبو العباس احمد دورا سياسيا هاما في مستهل القرن السابع الهجري عندما اختير رسولا بين الملك الكامل وإخيه الفائز لاصلاح الخلاف بينهما . كذلك أرسله الملك الكامل رسولا

من قبله الى فريدريك الثانى صاحب صقلية عند وصوله الى ساحل الشام
سنة ٦٢٦ هـ (١٩٤) .

ومن ائمة الفقه وعلوم القراءات العراقيين فى مصر ، عبد الكريم
ابن غازى بن احمد الواسطى الملقب بابن الاعلاقى . وكان فقيها ومقرئا
قدم الى مصر واقرا فيها ، وتوفى بالقاهرة فى منتصف رجب سنة
٦٤٠ هـ (١٩٥) .

ومن اشهر الفقهاء العراقيين الذين عاصروا بداية دولة المماليك
محمد بن عبد الرحمن بن على من نسل الحسين بن على بن ابي طالب ،
الكوفى الاصل ، المصرى المولد ، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٣ هـ وتخصص
فى القراءات وعلم الاصول . وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ ، ودفن بسفح
المقطم (١٩٦) .

وعبد اللطيف بن الصقيل التاجر الحرانى الذى تحدثنا فيما سبق
عن أسرته واشتغال الكثير منهم فى مجال التجارة وكذلك فى مجال العلوم
الدينية . وكان حنبلى المذهب وعمل مسندا للديار المصرية ، كما ولى
مشيخة دار الحديث الكاملية (١٩٧) . وتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

ومروان بن عبد الله الفارقى ، الملقب ببدر الدين ، وكان شيخا
فاضلا وكان والده زين الدين الفارقى من كبار شيوخ مصر فى الفقه ،
وتوفى مروان الاب بالقاهرة فى شوال من سنة ٦٧٤ هـ (١٩٨) .

ومحمد بن على بن الحسين الخلاطى المصرى ، أحد الفقهاء
العراقيين على المذهب الشافعى ، تولى الاعادة بالمدرسة المسروورية داخل
القاهرة بالقرب من البندقيين ، وشرح الوجيز فى عدة مجلدات ، وتوفى
بالقاهرة سنة ٦٧٥ هـ (١٩٩) .

والى الامير آقسنقر الفارقانى تنسب المدرسة الفارقانية التى افتتحها آقسنقر فى جمادى الاولى سنة ٦٧٦هـ ، وكان آنذاك نائبا للسلطنة ، وسنتحدث عنه فيما بعد فى القسم الخاص بالادارة وشئون الحكم ، وكان مدخل هذه المدرسة يطل على شارع يقع فى سويقه حارة الوزيرية من القاهرة ، وكانت مخصصة للمذهبين الشافعى والحنفى ، وما تزال المدرسة قائمة حتى اليوم بشارع درب سعادة على رأس السكة النبوية بقسم الدرب الاحمر بالقاهرة ، وتعرف الآن باسم جامع محمد اغا او جامع الحبشلى لان محمد اغا كان يتاجر فى بنات الحبش (٢٠٠) .

ومن الجدير بالذكر ان معظم العراقيين الذين وفدوا الى مصر فى الفترة موضوع الدراسة واستقروا بها اقبلوا على انشاء المدارس والمؤسسات الدينية .

وقد تحدثنا من قبل عن دار الحديث التكريتية بالاسكندرية التى انشاها آل الكويك ، كما انشا القاضى بدر الدين يوسف السنجارى العراقى الاصل الذى تولى منصب قاضى القضاة فى مصر هو واخوه برهان الدين (كما سنذكر فيما بعد) مدرسة بالقرب من القرافة الصغرى ، وفيها دفن سنة ٦٧٣هـ (٢٠١) . وستوالى الامثلة على الصفحات التالية .

ومن الفقهاء العراقيين الذين عاشوا بمصر الشيخ علم الدين بن بنت اسحق العراقى الذى تصدر للتدريس فى مدرسة الامام الحسين رضى الله عنه فى شعبان من سنة ٦٨٠هـ (٢٠٢) .

والشيخ عز الدين الماردينى الحنفى (ت سنة ٦٨٣هـ) الذى تولى التدريس بالمدرسة الصالحية الواقعة فى شارع بين القصرين بالقاهرة (٢٠٣) والشيخ ابو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحرانى ، وقد تحدثنا عنه وعن والده واخوه عند استعراضنا للتجارة بالاسكندرية . وتوفى فى ٦٨٦هـ ، ودفن بالقرافة الصغرى . وقد تتلمذ على يدى ابنى العز الحرانى الكثيرون .

وممن روى عنه الحافظ علم الدين البرزالي (٢٠٤) ، ومحمد بن محمد بن سنقر العادلي ، ومحمد بن محمد بن الخطيب المصري ، والمحدث شمس الدين المصري ومحمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى ، وأخواه أبو سعيد وأبو القاسم كما سمع عليه شرف الدين بن حنا الفقيه الشافعى ، وفخر الدين محمد الزهرى (٢٠٥) . ومنهم الفقيه العراقى شهاب الدين عبد الرخيم بن يوسف الموصلى نزيل القاهرة ومُسْنَدُهَا (٢٠٦) المتوفى سنة ٦٨٧هـ . ومن العراقيين الذين تصدروا للأقراء فى جامع الظاهر بالحسينية فى أواخر القرن السابع الهجرى موسى بن على بن موسى الزرزارى الاربلى ، ولد بابل سنة ٦٥١هـ وقيل سنة ٦٥٨هـ ونزل بمصر وسمع بالقاهرة (٢٠٧) .

وشيوخ الفقهاء ، الشيخ نجم الدين أبو عبد الله أحمد الحرانى الحنبلى ، المتوفى بالقاهرة فى سنة ٦٩٥هـ ، وكان قد روى عن فخر الدين ابن تيمية (٢٠٨) ، وكان أبوه من فقهاء حران ، ودرس هو الفقه والاصول والخلافة ، وصنف الرواية الكبيرة فى الفقه ، والصغيرة وحشاهما بالرواية الغربية التى لاتكاد توجد فى الكتب لكثرة اطلاعه (٢٠٩) .

والفقيه الواسطى ابن الاعلاقى أبو العباس أحمد بن عبد الكريم المتوفى ٦٩٦هـ ، وكان قد تتلمذ على أبيه عبد الكريم ابن الاعلاقى الذى سبق أن تحدثنا عنه ، وعمل أبو العباس أحمد اماما لاحد مساجد مصر وتلقب بالمصرى لطول مقامه بها (٢١٠) .

والفقيه عبد الرحمن بن أحمد الواسطى الاصل ، المصرى المولد والوفاة (ت ٦٩٧هـ) وكان قد تصدر للأقراء بأماكن مختلفة كما تولى مشيخة الحديث بالشيخونية (٢١١) .

ومن المحدثين العراقيين بالقاهرة فى أواخر القرن السابع الهجرى سنجر بن عبد الله بن يوسف الموصلى (٢١٢) ، والفقيه محمد بن أبى القاسم بن تيمية الحرانى ، نزيل مصر المتوفى سنة ٧٠١هـ عقب وفاة ولده عبد الرحمن ، فقد شق عليه وتالم لفقده (٢١٣) .

ومن العراقيين الذين عملوا بالخطابة في المساجد محمد بن يوسف بن ابي بكر الجزري المعروف بابن العوام المحوجب . قرا بالقراءات السبع وتفقه على مذهب الامام الشافعي ، ودرس بالمغربية وبالمناكيرية ، وولى العقود وتوفى في رجب سنة ٧١١ هـ ، فتولى المعزية من بعده الفقيه العراقي شمس الدين محمد بن يوسف الجزري شريكه في اسمه واسم ابيه ولقبه وبلده . وكان شمس الدين هذا خطيب الجامع الطولوني ، عالما بالقراءات والاصول . وقد اختلط الشيخان على كثير من الناس حتى اعتبروهما شخصا واحدا (٢١٤) .

وتنسب الى العراق ايضا سيدات فقيهاات نزيلات مصر منهن الشیخة العالمة الفقيهة الزاهدة فاطمة بنت عباس البغدادية ، سيدة نساء زمانها ، وكانت تلقب بأم زينب . كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فانصلح بها نساء دمشق ثم نساء مصر ، وتوفيت بمصر في ذي الحجة سنة ٧١٤ هـ عن نيف وثمانين عاما (٢١٥) . وكانت قد تلقت دراستها الفقهية في بيت المقدس .

والفقيه محمد حياك الله الموصلي الذي توفى سنة ٧١٤ هـ بزاويته الخاصة في سويقه كوم الريس بمصر ، ودفن بالقرافة (٢١٦) .

والفقيه محمد بن محمود الموصلي المعمر الذي عاش ١٦٠ سنة (٢١٧) .

والفقيه البغدادی عبد الله بن ابراهيم بن سالم المتوفى سنة ٧١٥ هـ وكان متميزا في علم الحديث (٢١٨) ، والامام ابو الفتح نصر بن سليمان المنبجي ، المتوفى سنة ٧١٩ بزاويته في الحسينية عن بضع وثمانين سنة (٢١٩) .

والفقيه العراقي محمد بن مقلد التكريتي القرافي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ وكان قد سمع وتلمذ على يد العز الحرائي ، حدث وكان مقيما بالقرافة (٢٢٠) .

والفقيه البغدادي عبد العزيز بن عبد القادر الربيعي ، ولد ببغداد سنة ٦٦٢ هـ ، وانتقل الى مصر حيث استوطنها وتقلد مشيخة سعيد السعداء (٣٣١) ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٤٨ هـ .

كان ذلك عرضا لاهم الفقهاء والمحدثين العراقيين في مصر في القرن السابع الهجري .

ب - التصوف :

ازداد الى الزهد والتصوف في العراق في اواخر القرن السادس الهجري واولائل القرن السابع . ولم يكن الميل الى الزهد ظاهرة وليدة هذا العصر ، وانما هي ظاهرة موروثية عن عصور سابقة ، ولكن الجديد في الامر شيوع الزهد بين فئات المجتمع المختلفة ، ويرجع ذلك لعدة عوامل ، منها تشجيع الدولة العباسية للزهاد والوعاظ ولشيوخ التصوف ان يقوموا بوعظهم تحت اشرافها ، وذلك بهدف السيطرة على حركات العياريين والشطار (٣٣٢) . ومنها القلق السياسي والخوف الذي عانى منه المشرق الاسلامي بعد ضعف الدول الاسلامية ، وظهور الصليبيين على المسرح السياسي في قلب العالم الاسلامي ، وبداية تهديد المغول للمشرق الاسلامي منذ اوائل القرن السابع الهجري . وكما ذكرنا من قبل لم يكن ظهور التصوف جديدا ، ولكنه تطور في هذه المرحلة التاريخية تطورا كبيرا ، ولم يقتصر ذلك على العراق بل شمل العالم الاسلامي كله وخاصة في مصر والشام والمغرب ، وشملت هذه الموجة طبقات الناس على اختلاف مستوياتهم ، فكثر الوعاظ والصوفية (٣٣٣) . وكان بعضهم يطوف بالاسواق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتخذ البعض الآخر المقابر او المساجد والقرى مكانا لوعظه . وكان الصوفية يطوفون في البلاد الاسلامية اذ ان الطواف عندهم ركن من اركان العبادة ، ومن اشهر شيوخ الصوفية العراقيين الذين زاروا مصر في طوافهم في النصف الاول من القرن السابع الهجري ، قبل سقوط بغداد الشيخ ضياء الدين ابو احمد عبد الوهاب بن الامين البغدادي الصوفي الشافعي وقد حدث بجميع

مروياته فقصده طلاب التصوف من اقاصى البلاد وادانيها، وقد حدث بمصر والشام والحجاز وتوفى سنة ٦٠٧ هـ (٢٢٤) . ومن اقطاب الصوفية في العراق في اواخر القرن السادس الهجرى الشيخ احمد الرفاعى (ت ٥٧٨ هـ) (٢٢٥) والشيخ عبد القادر الجيلانى (ت ٥٦١ هـ) (٢٢٦) . وفى اوائل القرن السابع يظهر الشيخ عمر بن محمد السهروردى الذى يرجع نسبه الى ابي بكر الصديق ، وتوفى ببغداد سنة ٦٣٢ هـ (٢٢٧) وقد تتلمذ على ايدى السهروردى العديد من الصوفية ، منهم من عاش بمصر ودرس بها ، ووعظ ابناءها مما ساعد على دفع حركة الصوفية في مصر قدما الى الامام .

ومن أشهر تلاميذ السهروردى في مصر في القرن السابع الهجرى الشيخ الشاطبى (٢٢٨) محمد بن محمد بن ابراهيم الانصارى ، وكان قد سمع بالمغرب ثم رحل الى المشرق فقرا في بغداد على علمائها ومنهم الشيخ السهروردى . وانتقل بعد ذلك الى الشام وعمل بحلب ثم قدم مصر وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة وظل يتولاها حتى وفاته سنة ٦٢٢ هـ .

ومنهم الشيخ تاج الدين التبريزى على بن عبد الله الاردبيلى المولد، الذى رحل الى القاهرة، وشغل الناس هناك بالعلم على اصنافه من فقه ونحو وتفسير ومنطق وحساب وهندسة وجبر ومقابلة ، ودرس بالمدرسة الحسامية طرنتاى ، واخذ يلقي الناس التصوف على طريقة السهروردى العراقى ، ثم عاد الى بغداد وبها توفى سنة ٦٨٢ هـ (٢٢٩) .

ومنهم ابن القسطلانى محمد بن احمد التوزرى الاصل المصرى المولد، الشافعى، سمع من الشيخ السهروردى كتاب عوارف المعارف، وليس منه خرقة التصوف ثم رحل الى مصر ، فتولى دار الحديث الكاملية ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ بعد ان اُفتى وصنف تصانيف مفيدة في الحديث والزهد (٢٣٠) والتصوف ، ومن تلاميذ السهروردى ايضا الابرقوهى احمد

بن اسحاق ، المصرى الدار ، الذى أصبح له بالقاهرة اتباع ومريدون ، وكان يجلس بينهم للذكر ويعرفهم بالشيخ السهروردى . وتوفى الابرقوهى بمكة سنة ٧٠١ هـ (٣٣١) .

. ويتضح من ذلك ان طريقة السهروردى انتشرت بصورة كبيرة فى مصر وبدأ تلاميذه يؤسسون المدارس والربط الخاصة بهم لنشر هذه الطريقة .

وكانت الاسكندرية قد بلغت قمة ازدهارها العمرانى والعلمى فى القرن السابع الهجرى وفيها ازدهرت حركة التصوف ، وكانت قبلة علماء المسلمين فى المشرق والمغرب . ومن أشهر الفقهاء الصوفية المغاربة فى الاسكندرية الشيخ أبو الحسن الشاذلى الذى رحل اليها سنة ٦٤٢ هـ ، وكان يرافقه فى رحلته هذه تلميذه وخليفته من بعده الشيخ أبو العباس احمد ابن عمر المرسى ، وقد دخلا الاسكندرية فى عصر الملك الكامل محمد . وسيحمل أبو العباس المرسى رسالة استاذة الشاذلى حتى وفاته بالاسكندرية سنة ٦٨٦ هـ (٣٣٢) .

وربما يكون ازدهار الحركة الصوفية والعلمية بالاسكندرية الى جانب ظهورها كمركز تجارى من الطراز الاول سببا من الاسباب التى جعلها مركز جذب للعراقيين ، فالجالية العراقية بالاسكندرية كانت كبيرة العدد ، تشمل طوائف وفئات مختلفة من علماء وتجار وصناع وصوفية (٣٣٣) .

ومن أشهر الصوفية العراقيين بمصر فى القرن السابع الهجرى :

١ - الشيخ الصالح أبو الحسن على بن أبى بكر الصوفى ، الذى تعلم ببغداد على يد الشيخ السهروردى وتفقه بالمدرسة النظامية ، وكان اميا لايحسن الكتابة ثم رحل الى مصر وعاش فترة بالاسكندرية ، وعاد فى اواخر حياته الى بغداد حيث توفى سنة ٦٠٩ هـ (٣٣٤) .

٢ - الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب البغدادي المعروف بابن البناء . وكان قد حدث ببغداد ومكة ودمشق ، ونزل بمصر في سنة ٦٠٧ هـ وأقام بالخانقاه السعيدية بالقاهرة . وتوفي في سنة ٦١٢ هـ (٢٢٥) .

٣ - الشيخ العارف بالله محمد بن أبي العشائر القرشي الباذبيني الواسطي ، وقد ولد في باذبين بالقرب من واسط على ضفاف نهر دجلة سنة ٥٧٧ هـ ثم قدم الى مصر وأنشأ بها زاوية خاصة له عند باب القنطرة . وكانت له « كرامات خارقة ومناقب حسنة » على حد قول ابن اياس . وكانت وفاته يوم الاحد التاسع من شوال سنة ٦٤٤ هـ . ودفن بالقرافة الصغرى (٢٣٦) .

٤ - علي بن عثمان بن علي بن سليمان الاربلي الصوفي ، ولد باربيل بالعراق سنة ٦٠٢ هـ وقيل في سنة ٦٠٣ هـ . وقدم الى مصر وأقام بمدينة الفيوم ، وظل مقيما بها حتى توفاه الله في العشر الآخر من جمادى الاولى سنة ٦٧٠ هـ .

وكان من أعيان الشعراء ، وعمل جنديا في بداية حياته ثم ترك الجندية وتزهد وصار أحد مشايخ الصوفية المشار اليهم .

وقد أورد كل من اليونيني والصقاعي بعض أبيات من أشعاره ، غير أن الصقاعي ذكر اسمه على أنه أمين الدين أبو الحسن أحمد الصوفي الاربلي السليمانى (٢٣٧) .

٥ - الشيخ شهاب الدين أبو علي منصور بن الشيخ أبي الفتوح نصر بن أبي الفضل الواسطي . وفد الشيخ الواسطي الى مصر في مستهل القرن السابع الهجري واستوطن الاسكندرية ، وبشر بها على الطريقة الرفاعية التي تأثر بها باعتبار أن الشيخ أحمد الرفاعي كان من واسط بالعراق ، وكانت الطريقة الرفاعية قد انتشرت في مصر والاسكندرية

منذ أواخر القرن السادس الهجرى ، جنباً الى جنب مع الطريقة البرهامية المنسوبة الى الشيخ ابراهيم الدسوقي (ت ٦٧١ هـ) والطريقة الاحمدية المنسوبة الى السيد احمد البدوى (ت ٦٧٥ هـ) والطريقة الشاذلية المنسوبة الى الشيخ ابى الحسن الشاذلى (٣٣٨) . وقد انشأ الشيخ منصور الواسطى رباطاً له ولمريديه بالاسكندرية ، نسب اليه وعرف برباط الواسطى ليجمع فيه الاتقياء والصالحين . وكان هذا الرباط يقع شرقى مسجد أبى العباس المرسى وبازائه لوحة رخامية نطالع فيها النص التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبى . كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة - الآية - توفى الشيخ السعيد الامين المفضل اطكين شهاب الدين أبو على منصور بن الشيخ السعيد الامين أبو الفتوح نصر بن الشيخ ابى الفضل الواسطى ، القاضى العدل . ليلة الجمعة رابع شهر شعبان الشريف سنة ٦٧٢ هـ رحمه الله تعالى ونور ضريحه » .

وهذا الرباط لا يعدو اليوم أن يكون زاوية صغيرة تقوم فى جهتها القبلىة قبة صغيرة يتوسطها قبران ، الشرقى منهما هو قبر منشئ الرباط وبازائه اللوحة الرخامية سالفه الذكر (٣٣٩) .

٦ - محمد بن على بن الحسين أبو الفضل الشافعى المنعوت بالنجيب الخلطى ، وكان من تلاميذ الشيخ العراقى السهروردى ، فقد سمع عليه ، ثم رحل الى القاهرة حيث عمل خطيباً بجامع القاسم ، كما ولى الاعادة بالمدرسة المسروية بها . وتوفى سنة ٦٧٥ هـ (٣٤٠) .

٧ - تقى الدين أبو اسحق ابراهيم بن معضاد بن شداد الجعبرى ، الزاهد ، واسرته ، أصله من قلعة جعبر ، ولكنه عاش بمصر وسكن القاهرة وفيها توفى يوم السبت ٢٤ محرم من سنة ٦٨٧ هـ فى الثمانين من عمره ، ودفن فى تربته الخاصة بالحسينية خارج باب النصر ، وكان الناس يقصدونها للزيارة (٣٤١) .

وكان قد ابتنى لنفسه ولريديه مسجدا بمصر ، كان يلزمه (٢٤٢)
ليعظ الناس به فاجتمع به عنده خلق كثير انتفعوا بكلامه الذى كان له
صدى فى نفوسهم لصدقه وأخلاقه . وقد اندثر مسجده ، ولكن قبره
مايزال باقيا حتى يومنا هذا ، وهو ظاهر يزار وعليه مقصورة من الخشب
داخل قاعة بصحراء أبى قلادة بجبانة باب النصر ، ويتوصل اليه من
شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج الدسوقي من الجهة الغربية قرب
المساكن (٢٤٣) .

وكانت له بالاضافة الى تصوفه وزهده اسهامات فى (٢٤٤) الطب
والشعر ومن أشعاره :

عشقوا الجمال مجردا بمجرد الروح
الزكية ، عشق من زكاها

متجردين عن الطبع ولؤمها
متلبسين عفافها وتقها

وخلفه فى الوعظ والزهد ، ولده ناصر الدين محمد . ولد محمد ابنه
سنة ٦٥٠هـ بقلعة جعبر ، وتوفى فى ٢٤ محرم سنة ٧٣٧هـ ، ودفن عند
والده خارج باب النصر (٢٤٥) .

٨ - محمد بن محمود بن حسن الموصلى الزاهد الصالح الذى
توفى بمصر (٢٤٦) سنة ٧١٤هـ .

٩ - عز الدين أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد العلوى الحسينى
العراقى ، الاسكندرى الشافعى ، كان زاهدا متقللا من الدنيا ، سمع
الكثير وحفظ الوجيز . ولد سنة ٦٢٨هـ ، وتوفى يوم الجمعة خامس محرم
سنة ٧٢٨هـ (٢٤٧) ، ودفن بالاسكندرية .

(٢)

الادب والشعر والعلوم اللغوية

نلاحظ ان كثيرا من العراقيين الذين نزلوا مصر واستقروا بها في القرن السابع الهجرى ، وعملوا بالادب والشعر والنحو كانوا من الفقهاء او من العلماء الذين تخصصوا الى جانب تلك العلوم اللغوية في مواد ودراسات اخرى ، ومن الفقهاء الذين اشتهروا كذلك بدراسة الشعر والادب :

١ - ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف الهوارى الجلولى ، وكنا قد تحدثنا عنه باعتباره فقيها قارئاً تخصص في قراءة القرآن الكريم ولكنه الى جانب الفقه والقراءات اشتغل بالادب والتفسير ، وتوفى سنة ٦١٢هـ كما سبق ان ذكرنا (٢٤٨) .

٢ - الفقيه الخطيب ابو محمد عبد الحكم بن ابي اسحق ابراهيم العراقى الشافعى ، وقد ذكرنا انه عمل خطيبا واماما بجامع مصر ، وكان ينشئ لكل جمعة خطبة ، وقد ورث هذه المهنة عن والده ، ولكنه اشتهر ايضا بنبوغه في الادب ، والشعر الجيد ، وتوفى في سنة ٦١٣هـ (٢٤٩) .

٣ - الفقيه المحدث السيد ابو الطاهر عبد الله بن جعفر بن هبة الله من نسل على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن ابي طالب ، الذى اشتهر الى جانب تخصصه في الفقه والحديث باجادته للشعر وحفظه للكثير منه ، كما كان عارفا بالادب ، وقد خالط بمصر رؤساءها . وكان مولده بالكوفة في سنة ٥٣٢هـ ، وتوفى سنة ٦١٣هـ (٢٥٠) .

٤ - الموفق عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي ، ولد ببغداد سنة ٥٥٧هـ وعاش بمصر واقام بها ، ولكنه عاد في اواخر حياته الى بغداد وتوفى بها سنة (٢٥١) ٦٢٩هـ ، وقد تخصص الى جانب اصول الدين والحديث في النحو واللغة ، وصنف تصانيف كثيرة منها شرح المقامات .

٥ - الفقيه القاضى صدر الدين موهوب بن عمر الجزرى ، المصرى الشافعى ، وكنا قد ذكرنا من قبل انه عمل بالتجارة بالاضافة الى منصبه فى القضاء ، والى جانب كل ذلك كان عالما فى الاصول والنحو . ولد فى الجزيرة من ارض العراق سنة ٥٩٠ هـ (٢٥٢) ، وتوفى سنة ٦٦٥ هـ ، وقد اورد ابن العماد الحنبلى فى الترجمة التى افرد لها له نوادر وطرائف مربها فى حياته (٢٥٣) .

٦ - على بن عدلان بن حماد بن على الموصلى ، النحوى ، المترجم وقد ذكر اليونينى انه « كان عالما فاضلا اديبا مفتنا شاعرا » . ولد بالموصل فى ٢٥ جمادى الاول سنة ٥٨٣ هـ ، وتوفى بالقاهرة يوم الجمعة ٩ شوال سنة ٦٦٦ هـ ودفن بسفح المقطم ، وله أبيات من الشعر اوردتها اليونينى فى ذيل مرآة الزمان (٢٥٤) .

٧ - الاديب أمين الدين على بن عثمان بن على السليمانى الاربلى ، وقد ذكرناه صوفيا ترك الجندية وتزهد ، وكان بالاضافة الى تصوفه اديبا شاعرا ، ومن أشعاره :

هدية عبد مخلص فى ولائه

لها شاهد منها على عدم المال

وليست على قدرى ولا قدر مالكى

ولكنها جاءت على قدر الحال (٢٥٥)

٨ - الكمال طه بن ابراهيم بن أبى الاربلى ، ولد بربل سنة ٥٩٤ هـ ، ورحل الى القاهرة شابا وعاش بها وانتفع به خلق كثير . وتوفى بها فى جمادى الاول من سنة ٦٧٧ هـ ، ودفن خارج بابى زويلة .

وكان متخصصا فى النظم ويجيد فى الدوبيت ، وقد انشد الملك الصالح وتحدث فى احكام النجوم والعمل بها ومن أشعاره :

دع النجوم لطرقى يعيش بها
وبالعزيمة فانهض ايها الملك

وأصحاب النبی نهوا
عن النجوم وقد أبصرت ماملکوا (٢٥٦)

٩ - الشاعر الامير بيبرس الفارقاني الذي كان أحد أمراء السلطان
الناصر محمد بن قلاوون ، وكان شاعرا مجيدا ، يزن الشعر وينظم
منه مالا تمجه الاسماع ، رغم انه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . وقد ابتنى
هذا الامير العراقي الشاعر ، حماما له تجاه مدرسة الامير علاء الدين
ايدكين البندقداري . وله قصيدة أوردها ابن اياس عند انتصار الناصر
محمد سنة ٧٠٢هـ على المغول في موقعة مرج الصفر (٢٥٧) .

١٠ - الامير الكبير الاديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
اسماعيل ابن ابي سعد الآمدی ثم المصري الحنبلي ، ولد بمصر في ١٣
محرم سنة ٦٣٣هـ وكان والده صاحب شرف الدين ، من علماء آمد
الفضلاء وله نظم ونثر .

أما ولده شمس الدين محمد ، فقد حبسه المنصور قلاوون ست
سنوات ، حتى تولى ابنه الاشرف خليل السلطنة ، فأخرجه من سجنه
وأنعم عليه وولاه نيابة دار العدل . ويذكر ابن العماد انه كان « عالما فاضلا ،
أديبا متفنا ذا معرفة بالحديث والتاريخ والسير والنحو واللغة ، حسن
الخط والنظم ... » وتوفي بمصر في جمادى الآخرة سنة ٧٠٤هـ ،
وترجع سبب وفاته الى انه سقط من فرس فكسرت أعضاؤه (٢٥٨) .

١١ - الفقيه عبد الكريم بن عمر الانصاري العراقي الشافعي ، ولد
بمصر سنة ٦٢٢هـ وتوفي في السابع من صفر سنة ٧٠٤هـ ، وقد بلغ
الثمانين (٢٥٩) ، وكان الى جانب اشتغاله بالفقه أديبا نبغ في الشعر والنثر .

١٢ - شمس الدين محمد بن دانيال الموصلى ، الذى اشتهر بالظرف والادب ، ومن اشعاره قصيده فى يوم النيروز بمصر منها قوله :

اقول لصاحبى فى يوم لهو ** اذاه كاد ان يسرى الينا
وفى جيراننا صفح وثيق ** حوالينا الصدود ولا علينا

وقد عمل شمس الدين محمد بالطب الى جانب الشعر . وتوفى بالقاهرة سنة ٧١٠ هـ (٣٦٠) .

١٣ - الشاعر النحوى شمس الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف الجزرى ثم المصرى ، وكان عالما بالنحو والبيان ، وعمل بقوص ، ثم انتقل الى مدينة مصر واستوطن بها ، وبها توفى فى ذى القعدة من سنة ٧١١ هـ (٣٦١) .

١٤ - عمار بن يوسف الرضوى ، الآمدى الاصل ، النصيبى المولد ، ولد سنة ٦١٣ هـ وقيل سنة ٦١٥ هـ او سنة ٦١٦ هـ ، وتوفى بمصر فى سنة ٧٣٨ هـ (٣٦٣) . وكان من بين من اشتهر من العراقيين بالنظم الجيد .

١٥ - على بن عبد الرحمن بن شبيب بن حمدان الحنبلى الحرانى ، الامام المتطبب الاديب ، وقد توفى بالقاهرة سنة ٧٤٧ هـ (٣٦٣) .

١٦ - الاديب العراقى محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن نباته الفارقى الاصل المصرى ، ولد بزقاق القناديل بمصر سنة ٦٧٦ هـ ، وهذا دليل على وجود أسرته بمصر وهجرتها اليها ، ربما عقب سقوط مدن العراق فى ايدى المغول . وقد سمع من الابرقوهى وغيره ، وتلمذ على الفقيه العراقى ابنى العز الحرانى الذى ذاع صيته واشتهر بمصر كما سبق ان ذكرنا . وهذا يؤكد وجود اجيال متتابعة من العلماء العراقيين بمصر تخصصوا فى الفقه والعلوم الدينية واللغوية فى القرن السابع الهجرى . وقد نبغ هذا الاديب محمد الفارقى فى الادب ، فكان من فحول الشعراء وتفوق كذلك فى الكتابة حتى فاق اقرانه . ثم رحل الى الشام سنة ٧١٦ هـ ،

واقام بدمشق مدة تقرب من ٥٠ سنة ، ثم عاد في اواخر عمره الى مصر ، في ربيع الاول سنة ٧٦١هـ عندما استدعاه الناصر حسن وكان شيخا كبيرا فقرر السلطان اجراء معلومة ، وظل خاملا الى ان مات في ٧ صفر سنة ٧٦٨هـ ودفن بمقابر الصوفية بمصر . ومن أشهر مؤلفاته في الادب كتاب « مطلع الفوائد » وكذلك شرح رسالة ابن زيدون (٣٦٤) .

١٧ - الاديب عبد الله بن على بن عمر المصرى ، البصرى ، ولد في بغداد سنة ٦٧٨هـ ورحل الى القاهرة حيث اشتغل بالادب ، وله نظم وتصنيف في تعبير الرؤيا (٣٦٥) . وتوفى في تاريخ غير معروف على وجه الدقة وربما في العقد الثالث من القرن الثامن الهجرى .

(٣)

العلوم العقلية

١ - علم دراسة المعادن والاحجار الكريمة :

كانت دراسة المعادن موضع اهتمام العلماء المسلمين منذ العصور الاسلامية الاولى لاهتمام الخلفاء والسلطين والامراء بالاحجار الكريمة واليواقيت وغيرها مما كان يستخدم لتزيين الثياب الفاخرة ، وترصيع التحف .

وقد ظهر في مصر في القرن السابع الهجرى عدد من العلماء المتخصصين في هذا العلم ومن أشهرهم بيلق القبحقى الذى ألف كتاب « كنز التجار في معرفة الاحجار » للسلطان المملوكى المنصور قلاوون (٣٦٦) (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وكذلك ظهر ابو العباس احمد التيفاشى (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) وقد ألف العديد من الكتب منها كتاب « ازهار الافكار في جواهر الاحجار » ووصف فيه خمسة وعشرين نوعا من الاحجار الكريمة (٣٦٧) .

ب - الطب :

يعتبر محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجارى الاصل ، المصرى ، المعروف بابن الاكفانى من أكبر الاطباء العراقيين الذين اقاموا بمصر

وعملوا بها . ولد بسنجان وطلب العلم فتفوق في عدة فنون ، وأتقن الرياضة وصنف فيها التصانيف الكثيرة ، وكان يحل أقليدس ، وكذلك نبغ في الطب وخاصة طب العيون ، وقد شفى عليه العديد من المرضى ، وكان الى جانب ذلك شاعرا وأديبا له تصانيف رائعة (٣٦٨) .

ومن الغريب أنه بالإضافة الى نبوغه العلمى كان ماهرا في معرفة الجواهر والعقاقير والاحجار الكريمة .

ولمهاراته المتعددة ، وقع عليه الاختيار ليعمل ببيمارستان قلاوون في القاهرة ومن مؤلفات ابن الاكفانى « أرشاد القاصد الى اسمى المقاصد » و « الباب فى الحساب » و « غنية اللبيب عند غيبة الطبيب » و « نخب الذخائر فى معرفة احوال الجواهر » (٣٦٩) ، وكتاب « كشف الدين فى احوال امراض العين » ، وقد رتب هذا الكتاب الاخير على ثلاث مقالات تشتمل على الفصول التالية :

الاولى فى احوال العين وحدها وخواصها ومزاجها وحفظها ومعالجة امراضها .

والثالثة فى الادوية المفردة مرتبة على حروف المعجم .
واعصاب العين وتشنجاتها .

وثالثة فى الادوية المفردة مرتبة على حروف المعجم .

ويذكر ابن حجر أن ابن الاكفانى كان كثير التجميل فى ملبسه ومركبه ومن اشعاره بعض ابيات فى كحال منها :

ولقد عجبت لعاكس الكيمياء ** فى كحله قد جاء بالشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها ** فى لمحة كالفضة البيضاء (٣٧٠)
وتوفى ابن الاكفانى سنة ٧٤٩هـ بعد اصابته بالطاعون .

ومن العراقيين العاملين بالطب الذين رحلوا الى مصر واقاموا بها فترة عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادي ، الموصلى

الاصل ، الرحالة صاحب كتاب « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة في الحوادث المعاينة بأرض مصر » المعروف بابن اللباد .

وكان عبد اللطيف البغدادي متميزا في النحو واللغة ، عارفا بعلم الكلام والطب ، وقد اهتم كثيرا بصناعة الطب ، وقد نشأ عبد اللطيف البغدادي نشأة علمية خالصة حيث أن والده كان بارعا في علم الحديث وعلوم القرآن والقراءات .

وقد درس عبد اللطيف على يد شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر . وعندما جاء عبد اللطيف الى مصر قابل بالقاهرة موسى بن ميمون الطبيب اليهودي ، وكان لابن ميمون كتاب في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس وله خمسة كتب أخرى . وقد انتهى عبد اللطيف البغدادي من تأليف كتابه في القاهرة في اوائل القرن السابع الهجري حوالي سنة ٦٠٠ هـ ، ووصف في هذا الكتاب النواحي الاجتماعية والعمرانية في مصر ، ويمتاز وصفه لمصر بالدقة العلمية (٣٧١) .

ويذكر اليوناني أن يوسف بن عبد اللطيف البغدادي ، كان له هو الآخر معرفة بالطب ، وأنه دخل مصر وعاش بها وتوفي يوم الجمعة الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٠ هـ بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ، وكان يبلغ من العمر نحو خمسين عاما (٣٧٣) .

ومن علماء العراق واطبائها الذين زاروا مصر وتعلموا بها في القرن السابع الهجري اسماعيل بن ابراهيم بن غازي المارديني ، وكان يعرف بابن فلوس وكان عالما مبرزاً في الطب والحكمة وعلوم الاوائل .

درس بمصر وعاش بها فترة طويلة ثم تركها الى دمشق حيث توفي سنة ٦٣٧ هـ عن أربع وأربعين عاما (٣٣٣) .

ومنهم أيضا شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن هامل الحراني ، العالم الفاضل الذي عرف بمهارته في الطب . سمع وتعلم بمصر

والاسكندرية ، ولكنه تركها في أواخر حياته الى الشام حيث توفي سنة ٦٧١ هـ (٢٧٤) .

والشاعر الطبيب الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلى الذى كنا قد تحدثنا عنه في سياق حديثنا عن اسهامات العراقيين في مصر في الشعر والادب (٢٧٥) . وقد ذكر عنه ابن حجر انه كان كثير النوادر والرواية ، وقد ذاع صيته في الكحالة وتوفى سنة ٧١٠ هـ (٢٧٦) .

والاديب الفقيه محمد بن يوسف بن أبى بكر الجزرى المعروف بابن العوام المحوجب الذى أسهم في ممارسة الطب (٢٧٧) .

وهناك أسرة عراقية لمع رجالها في الطب جيلا بعد جيل بمصر في القرن السابع الهجرى ، وأولهم الطبيب الكحال ، شبيب بن حمدان بن شعيب الحرانى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (٢٧٨) . ويبدو ان أسرة هذا الطبيب استقرت بمصر حتى القرن الثامن الهجرى ، فقد أورد ابن حجر ترجمة لاحد احفاده لابنته وهو على بن عبد الرحمن بن شبيب بن حمدان الحرانى الذى تخصص بدوره في الطب . وقد توفى على الحفيد سنة ٧٤٧ هـ (٢٧٩) .

ج - المنطق والمقولات :

من أشهر العراقيين الذين تخصصوا في تلك العلوم في مصر في القرن السابع الهجرى السيف الأمدى أبو الحسن على بن على صاحب التصانيف النافعة ، ولد سنة ٥٥١ هـ ، وعمل في بداية حياته بالفقه على المذهب الحنبلى ثم انتقل الى الشافعى ، ومهر في المقولات ، وعاش في مصر مدة طويلة حيث تصدر للاقراء بالجامع الظافرى (٢٨٠) .

كما برز عيسى بن داوود البغدادى الحنفى المنطقى في دراسة المنطق . ولد عيسى في حدود سنة ٦٣٠ هـ . وفاق جميع أقرانه في مجال دراسته ، وأمل على الموجز للخونجى شرحا وعلى الارشاد كذلك .

ورحل الى القاهرة ، واقام بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ، واخذ عنه ابن الاكفانى والسبكي .

وتوفى عيسى بن داوود سنة ٧٠٥ هـ وهو في السبعين من عمره (٢٨١) ومنهم شمس الدين محمد بن يوسف الجزري ثم المصرى الشافعى المعروف (٢٨٢) بابن المحوجب (الذى سبق ان تحدثنا عنه كطبيب) لمع في المعقولات وعلم الكلام ، الى جانب نبوغه في الطب ، وقد اقام في مصر بقوص ثم توفى بمدينة مصر سنة ٧١٦ هـ .

وفي مجال الحساب والهندسة والجبر وهى المجالات التى تفوق فيها

العراقيون منذ القرن الرابع الهجرى ، نذكر الحسن بن الهيثم ابو على ، المهندس البصرى الذى جاء الى مصر زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى (٢٨٣) . وقد برز العالم عبد الكريم بن عمر الانصارى العراقى في مصر في القرن السابع الهجرى في مجالات متعددة ، فالى جانب تفوقه في النظم والنثر كما سبق ان ذكرنا ، لمع في الحساب (٢٨٤) كما جاء الى مصر ابو الحسن على بن ابي الفضل البغدادى البزاز وكان من علماء الحساب والجبر والمقابلة (٢٨٥) .

اما فيما يتعلق بعلم الموسيقى فان العراق اشتهر بتفوقه في هذا العلم ، فكانت بغداد هى اكبر مركز للاشعاع الموسيقى في العصر العباسى ، وكان خلفاء بنى العباس يحرمون على دعوة المغنين والعازفين والشعراء في ضيافتهم . ونشطت العراق في الاتجاه نحو التحرر من القواعد الموسيقية القديمة فنشطت ملامح الفن الفردى ، وامتدت الموسيقى الى الفنون الاخرى ، فأصبح هناك صلة وثيقة بين الموسيقى والشعر على سبيل المثال .

وقد بدأ اهتمام العراقيين بالموسيقى عقب الفتح الاسلامى لبلادهم مباشرة ، وكانت الموسيقى في العراق اكثر الفنون اسلامية غنى ، فهى في الترتيب الثالث من العلوم القديمة ، فتأتى الهندسة في المقدمة يليها الطب فالموسيقى .

وقد شكلت الموسيقى العراقية في العصور الاسلامية مرحلة وسطى بين الموسيقى اليونانية والموسيقى العربية القديمة . وسيكون لتلك الموسيقى العراقية اكبر الاثر في تكوين التعبير الموسيقى في اوروبا في العصور الوسطى .

ومن الجدير بالذكر أنه عاش في بغداد في العصر العباسي الاول مجموعة لامعة من المواهب الموسيقية (٢٨٦) ، ففي بلاط هارون الرشيد مثلا ظهر حكم الوادي ، وابراهيم الموصلي ، وابن جامع ، وزلزل ، ويزيد ، وحوراء ، واسحق الموصلي ، ومخارق ، وبرصوما ، محمد الدف ، وزياب الذي يرجع اليه الفضل في تطوير المجتمع الاندلسي عند انتقاله الى قرطبة زمن الامير عبد الرحمن الاوسط (٢٨٧) . ويعد اسحق الموصلي اول من صحح اجناس الغناء وطرائفه ، اما الخليل بن أحمد فهو اول من كتب الرسائل العلمية الحقة في عالم الموسيقى في كتابيه النغم والايقاع .

ومن أشهر الموسيقيين في بغداد في القرن السابع الهجري صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف الارموي البغدادي ، وهو وإن كان يرجع بأصله الى أرمية من بلاد اذربيجان الا أنه ولد ببغداد في مستهل القرن السابع الهجري فنسب اليها ، وكان صفى الدين في بغداد خين خربها المغول سنة ٦٥٦هـ، ثم دخل في خدمة هولاكو الذي اعجب به لمهارته في ضرب العود فاستثنى أمواله من النهب وضاعف له مرتبه ، ثم صار مربيا لاولاد الوزير المغولي شمس الدين محمد الجويني . ولما سقطت أسرة الجويني اشتدت به الحال ، وسجن في دين قدره ٣٠٠ دينار .

ويعد صفى الدين أشهر الموسيقيين العراقيين ، فلم يتفوق عليه أحد منذ عصر اسحق الموصلي . وله كتابان هاما في الموسيقى ، هما كتاب الادوار والرسالة الشرقية ، كما ابتكر آلتين وتريتين : المغنى وهو عود مقوس ، والنزهة وهى نوع جديد من القوانين (٢٧٨) .

أما الموسيقى في مصر فقد ازدهرت منذ العصور الفرعونية (٢٨٩) .

وقد لمعت مصر في العصر الفاطمي كمركز موسيقى هام ، فقد كان الخليفة المعز عالما مثقفا راعيا لكل أنواع الفنون والمعارف ، وكان ابنه تميم شاعرا وموسيقيا بارعا . وكان برجوان الصقلي الوصي على الحاكم بأمر الله من المهتمين بالموسيقى ، والموسيقين ، فلما قتل على يد الحاكم تعرض الموسيقيون للنفي اذا تجرأوا على الغناء ، ورغم ذلك فقد نال ابن الهيثم الطبيب والمهندس والموسيقى اللامع منه كل تقدير .

ثم عادت للموسيقى ازدهارها في مصر الفاطمية زمن الظاهر لا عراز دين الله والمستنصر بالله الفاطمي ، وتلاه في ذلك سائر الخلفاء الفاطميين بل ان الخليفة الظاهر اعطى الموسيقى ما لم يعطه للحكم والسياسة ، ولا تزال توجد نسخة من كتاب الاغانى الكبير ، صنفت لهذا الخليفة (٢٩٠) .

وفي عهد الايوبيين استمر الاهتمام بالموسيقى (٢٩١) ، رغم روح الجهاد التي سيطرت على المجتمع المصري . ومن المعروف ان الجادل ابا بكر شقيق صلاح الدين ارسل احدى جواريه لتغنى على الجنك للملك ريتشارد قلب الاسد اثناء الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام (٢٩٢) . هذا ومن سيرة الملك الافضل على ابن الملك الناصر صلاح الدين ، وقد ساءت بعد وفاة ابيه ، ما يوضح حبه لسماع الاغانى والاوزار ليلا ونهارا بدمشق (٢٩٣) ، وكان الملك الكامل يهوى الغناء والطرب . وقد روى كل من ابن واصل والمقريزى كيف اجتمع الكامل محمد في قصره بالمنصورة مع اخيه الملك المعظم صاحب دمشق والاشرف موسى بعد جلاء الفرنج عن دمياط سنة ٦١٨ هـ ، على مجلس انس وطرب حيث غنت جاريته ست الفخر وهى تعزف على العود (٢٩٤) .

وفي مستهل القرن السابع الهجرى اهدى الخليفة العباسى للملك الكامل في مصر جارية تلعب بالكمناجا تدعى نزهة القلوب ، وقد عهد بها الملك الكامل الى الموسيقى محمود الكندى العجمى ليعلمها صناعة الموسيقى ، فاعجب به الحاضرون ، فكرر العزف المصحوب بالغناء (٢٩٥) ،

فهتف الحاضرون بأن هذا هو الطرب الحقيقي ، وهذا دليل على العلاقات الودية بين الخلافة العباسية ومصر الايوبية من جهة ، وعلى تواجد عناصر غنائية عراقية بمصر منذ بداية هذا القرن .

وفي القرن السابع الهجرى لمع الموسيقى المصرى ابو الحسن على بن القفطى ، الذى ولد فى قفط ، وتعلم فى القاهرة ، وبلاد الشام ، وتولى الوزارة فى حلب ، ومن أشهر كتبه « كتاب اخبار العلماء » (٢٩٦) ، كما ظهر فى مصر ابن ابى اصبيحة الدمشقى المولد المصرى النشأة ، الذى اتم دروسه الطبية فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة ، وعهد اليه بادارة احد البيمارستانات المصرية . وكتابه الاول عيون الانباء فى تاريخ الاطباء يتضمن الكثير من اخبار علماء الموسيقى (٣٩٧) .

وقد رحل الاديب الناظم صلاح الدين الاربلى (ت ٦٣١ هـ) من اربل فى مستهل هذا القرن بعد عزله عن حجابتها الى مصر حيث علت منزلته ، وحظى عند الملك الكامل . ومن هذا يتضح لنا ان فنون الموسيقى ازدهرت فى مصر والعراق ، وان ثمة تأثيرات فنية كانت متبادلة بينهما ازدادت بعد سقوط العراق فى ايدى المغول وهجرة الفنانين والموسيقيين العراقيين الى مصر . ومن هؤلاء محمد بن عيسى بن حسن البغدادى الذى يرجع بأصله الى مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين . وقد رحل ابوه من بغداد قاصدا مصر عندما تغلب عليها هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ، وكان من الامراء ، وولد له محمد بالقاهرة فى ربيع الاول سنة ٦٨١ هـ .

ونشا محمد فى مصر نشأة علمية سليمة ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وتولى فى شبابه مشيخة الزاوية التى بجوار المشهد الحسينى ، وأخرى بالقرب من الدكة بشاطئ الخليج ، وتلقى علم الموسيقى على غير واحد ، ففاق اقرانه ، وصنف فى الموسيقى تصنيفا بديعا ، وصار فريدا ومتميزا فى فنه ، فقد نقل مذاهب القدماء وحررها وأخذ على نفسه عهدا بالا يمر به صوت مما ذكره ابو الفرج الاصبهاني الا ويجىء به .

ويذكر ابن حجر ان محمد لم يتكسب من صناعة الموسيقى وتوفى في سنة ٧٦٣ هـ (٣٩٨) . ومنهم محمد بن جنكلى بن محمد العراقى ، ولد في ديار بكر سنة ٦٩٧ هـ ، وقدم مع والده الى القاهرة سنة ٧٠٢ هـ ، واشتهر بالموسيقى والطب والنظم ، ويذكر ابن حجر انه كان يطرب لسمع النكات (٣٩٩) . وربما يكون ذلك مظهرا من مظاهر تأثر العراقيين بالبيئة المصرية ، فالمصريون عرفوا منذ أقدم العصور وحتى الان بالمرح وحب اطلاق النوادر والنكات ، ولاحظنا في بعض التراجم للعراقيين المقيمين بمصر انهم كانوا يجنحون الى الفكاهة والمرح ، ويميلون الى مجازاة المصريين فيما عرف من روح الدعاية والفكاهة ، فبخلاف محمد بن جنكلى ، كان عبد الكريم بن عمر الانصارى العراقى الاديب يميل الى التفكه والتبسط (٣٠٠) . وكذلك محمد بن ابراهيم بن الاكفانى الذى وصفه ابن حجر بقوله « قال ابن سيد الناس ، ماريت من يعبر عما في ضميره باوجز ما في عبارته ، ولم ار امتع منه ، ولا افكه من محاضراته ... » (٣٠١) . ومنهم كذلك محمد بن دانيال بن يوسف الموصلى الحكيم الذى وصفه ابن حجر بأنه كان كثير النوادر والرواية (٣٠٢) ، والمسند ابو عبد الله محمد بن احمد الحرانى الذى سمع بمصر وكان فيه على حد قول ابن تغرى بردى دعابة ودين (٣٠٣) .

ومن خلال هذا العرض السريع يتضح لنا ان الدور الذى قام به العراقيون في مصر في الحياة العلمية في القرن السابع الهجرى ، كان كبيرا فقد كانوا يؤلفون كثرة عددية ، شاركوا في الحياة العلمية واسهموا في ذلك بنصيب وافر ، وتولى بعضهم مناصب ومراكز علمية غاية في الاهمية فمنهم كما سبق ان ذكرنا من توارث تولى الخطابة والامامة بجامع مصر مثل الفقيه ابو محمد عبد الحكم عن والده الامام العالم ابى اسحق ابراهيم بن منصور العراقى ، وكذلك الامام محمد بن يوسف بن ابى بكر ابن المحوجب الذى عمل خطيبا للجامع الطولونى ثم جامع القلعة ، وعبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف الحرانى الذى تصدر بالجامع الحاكمى ، وعبد الله محمد بن ابى المعالى البغدادى الصوفى الذى نزل

بالخانقاه السعيدية بالقاهرة ، ومحمد بن عيسى بن حسن البغدادي
الموسيقى الذي تولى مشيخة الزاوية التي بجوار المسجد الحسيني وتقى
الدين عبد الرحمن بن احمد الواسطي الذي تولى مشيخة الحديث
بالشيخونية ، وابن الاعلاقى ، الذي عمل اماما لاحد مساجد القاهرة ،
وموسى بن على بن موسى الزرزاري الذي تصدر للاقراء بجامع الظاهر
بالحسينية ، وعبد الكريم بن عمر العراقي خطيب جامع مصر وابن
الاكفانى الذي تولى بيمارستان قلاوون .

هذا بخلاف العراقيين الذين انشأوا بعض المؤسسات العلمية مثل
دار الحديث التكريتية بالاسكندرية ، ومدرسة آق سنقر الفارقانى نائب
السلطنة بالقاهرة ، والمساجد والزوايا والاربطة مثل رباط الواسطي
بالاسكندرية ، ومسجد وتربة الشيخ الجعبرى ابو اسحق ابراهيم وولده
وزاوية الشيخ ابي السعود محمد الباذبينى الواسطي عند باب القنطرة
بالقاهرة ، ومسجد ومدرسة الوزير بدر الدين السنجارى ، وغيرهم
وهناك من العراقيين من اشتغل بعلوم الحديث بالاسكندرية ، ومنهم من
حمل لقب مسند الديار المصرية او مسند القاهرة كما سبق أن ذكرنا فى
الصفحات السابقة ، ومنهم من درس بالمدارس مثل عز الدين الماردينى
الحنفى الذى درس بالمدرسة الصالحية ، وشرف الدين الميديمى الذى
درس الحديث بالمدرسة الكاملية ، والشيخ علم الدين ابن بنت اسحق
العراقى الذى درس بمدرسة الامام الحسين ، ومحمد بن على الخلاطى
الذى تولى الاعادة بالمدرسة المسرورية بالقاهرة ، والصاحب برهان
الدين السنجارى الذى تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية قبل توليه
القضاء والوزارة .

ثالثا - استخدام بعض العناصر العراقية في الجهاز الادارى والجيش في مصر في القرن السابع الهجرى

١ - نيابة السلطنة :

تولى بعض العراقيين المقيمين بمصر في القرن السابع الهجرى مناصب ادارية هامة ، وتدرجوا في هذه المناصب ، فقد اوردت المصادر اسماء عراقيين اسندت اليهم مناصب ادارية وعسكرية هامة . ومن المعروف ان نيابة السلطنة وظيفه ظهرت في العصر الايوبى (٣٠٤) ، ربما لوضع حد لنفوذ الوزراء ، ولم تكن معروفة في مصر قبل ذلك ، ثم احياها بيبرس مع ما احياه من الوظائف الايوبية ، ويذكر القلقشندى ان نائب السلطنة في مصر المملوكية كان « يستخدم الجند من غير مشاورة السلطان ويعين ارباب الوظائف كالوزارة وكتابة السر ، وقل ان لايجاب فيمن يعينه ، وهو سلطان مختصر ، بل هو السلطان الثانى . . . » (٣٠٥) .

ومن هذا النص يتبين لنا ان نائب السلطنة كان على رأس الادارة الحكومية في مصر ، وكان يشترك مع السلطان في منح لقب الامارة ، وتوزيع الاقطاعات ، وتعيين الموظفين والوزراء ، ومن اعمال النائب توقيع المراسيم والمنشورات ، وتنفيذ القوانين والركوب على رأس فرق الجيش في المواكب الرسمية ، والجلوس لكشف مظالم الناس والبت فيها .

ومن ذلك نستطيع ان ندرك مدى اهمية منصب نائب السلطنة في مصر المملوكية من خلال اختصاصاته واعماله ، وكذلك من خلال القابه ، فقد لقب بكافل المملكة الشريفة ، واحيانا بملك الامراء . وهناك نوعان من نواب السلطنة ، النوع الاول نائب الغيبة ، وهو الذى يتولى شؤون الدولة اذا غاب السلطان . والثانى هو النائب الكامل وتتمثل مهمته في اخضاع الثوار وخلص الحقوق ، وهو ينوب عن السلطان في حالة وجوده في مصر (٣٠٦)

ومن أشهر من تولى هذا المنصب من العراقيين في مصر في القرن السابع الهجرى الامير حسام الدين ابو على بن محمد الهذبانى الاربلى وقد ولد الامير حسام الدين بحلب سنة ٥٩٢هـ ، واصله من اربل . وكان قد اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين ولازمه واختص به ، فجعله الصالح استاداره . وكان يعتمد عليه في مهامه ويثق به ثقة كبيرة . وقدم حسام الدين سنة ٦٤٧هـ الى الديار المصرية نائبا بها ، واستمر يتقلد نيابة السلطنة بمصر الى ان توفى الملك الصالح (٣٠٧) .

اما الامير بدر الدين بيليك الخازندار (٣٠٨) الذى استقر على نيابة السلطنة زمن الظاهر بيبرس فقد صاهر امراء الموصل العراقيين بزواجه كما سبق ان ذكرنا من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة ٦٦٠هـ ، واحتفل بيبرس بهذا العرس احتفالا كبيرا بالقاهرة (٣٠٩) .

وتوفى بدر الدين الخازندار ، صهر امراء الموصل سنة ٦٧٦هـ بعد وفاة بيبرس بقليل ، وقيل ان الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى (٣١٠) الظاهرى الاستادار الذى ولى نيابة السلطنة بعده ، سقاه السم بالاتفاق مع ام الملك السعيد « فاخذه (المقصود بدر الدين الخازندار) قولنج عظيم ، وبقي به اياما ، وتوفى بمصر سنة ٦٧٦هـ (٣١١) » . ومن هذا الخبر يتضح لنا ان الامير آق سنقر الفارقانى تولى منصب نائب السلطنة بمصر سنة ٦٧٦هـ . والامير آق سنقر الملقب بشمس الدين ، كان مملوكا للامير نجم الدين الحاجب ، ثم انتقل الى الظاهر ركن الدين بيبرس فنسب اليه (٣١٢) واصبح في عداد المماليك السلطانية ، وترقى آق سنقر الفارقانى فى المناصب حتى وصل الى وظيفة الاستادار (٣١٣) ، التى بمقتضاها اصبح من اكبر موظفى القصر السلطانى ، يشرف على البيوت السلطانية من الحوائج خاناه والشراب خاناه ، والطست ، والفراش خاناه وكان للسلطان الملك الظاهر ، عدة استدارية . وفى نفس الوقت كان يثق بآق سنقر كل الثقة ، فبدأ يستنيبه فى غيبته ، ويقدمه على عساكره فعلى سبيل المثال خرج السلطان الملك الظاهر من القاهرة فى

٢٥ رمضان ، واستناب الامير آق سنقر الفارقانى الاستادار نائبا عنه فى خدمة ولده الملك السعيد سنة ٦٧٤هـ ، وترك معه بالديار المصرية لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس (٣١٤) . فلما صار الامر الى الملك السعيد ، جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيلىك الخازندار .

ولم تمض عدة شهور على جلوس آق سنقر على نيابة السلطنة حتى قبض عليه الممالك الخاصة فى ١٨ ربيع الاخر سنة ٦٧٦هـ ، وحبس بقلعة الجبل (٣١٥) ورتب مكانة فى نيابة السلطنة سنقر الالفى ، وقيل سجن فى ثغر (٣١٦) الاسكندرية وهناك ارسل اليه من خنقه وهو فى السجن ، فتوفى به سنة ٦٧٧هـ ، ولم يعرف مكان قبره .

من اشهر اعمال الامير آق سنقر الفارقانى الاستادار ، انه انشأ مدرسة عند داره ، داخل باب سعادة بالقاهرة بحارة الوزير فى قول ، والوزيرية فى قول آخر ، على مذهب ابى حنيفة (٣١٧) ، وافتتحت فى الثانى من جمادى الاول سنة ٦٧٦هـ . وسميت هذه المدرسة بالفارقانية نسبة اليه ، ومن اشهر من تولى مشيختها وقام بالتدريس بها ابن الصيرفى ، شرف الدين حسن بن على اللخمى المصرى المحدث .

ومن اعماله كذلك توجهه لغزو بلاد النوبة (٣١٨) وفتحها سنة ٦٧٤هـ ، فلما تم له ذلك كتب اليه القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر جوابا من بديع انشائه ، ومما جاء فيه قوله « وقرن النصر بعزم المجلس الا نهض ، واهلك الاسود بميمون طاير النصر وكيف لا ، وآق سنقر هو الطائر الابيض ، واقر لاهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم فلا يرون بعدها غراب بين ، ونصر ذوى السيوف على ذوى الحراب ، وسهل صيد ملكهم على يد المجلس ، وكيف يعسر على السنقر صيد غراب » . كذلك اشترك الامير آق سنقر فى معارك عديدة ضد التتار اوردها ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (٣١٩) .

ب - الوزارة :

وكان يلى نائب السلطنة فى المرتبة ، الوزير (٣٢٠) ، الذى كان يحتفظ بمكانة سامية فى النظام الادارى الحكومى بمصر فى العصر الفاطمى . فلما اعتلى صلاح الدين دست السلطنة بمصر ، عمل على الحد من نفوذ الوزراء ، بعد مارآه من انصراف بين شاور وضرغام وزيرى العاضد لدين الله آخر خليفة فاطمى ، فاستحدث نظام نيابة السلطنة ، واصبح نائب السلطنة هو الذى يلى السلطان فى المرتبة كما أصبح يتمتع بكل ما كان يتمتع به الوزير من قبل .

ورغم هذا ظلت للوزارة مهامتها وأهميتها (٣٣١) . وقد حرص السلطان المملوكى الظاهر بيبرس على اختيار وزرائه من بين ارباب الاقلام والسيوف ، فاذا كان الوزير من ارباب الاقلام اطلق عليه اسم صاحب ، ثم اضيف الى هذا اللقب ، لقب آخر وهو الوزير ، فاصبح يطلق عليه الوزير صاحب او وزير الصحبة . واذا كان الوزير من ارباب السيوف اكتفى بتلقيبه بالوزير دون صاحب (٣٣٢) . وقد جرت العادة على ان يعين السلاطين المماليك كلا من الوزيرين فى وقت واحد .

وبدأت سلطات الوزير فى التضائل فى النصف الثانى من عصر المماليك البحرية ، وضعف نفوذ الوزير حتى ان اختصاصه أصبح لايتجاوز تنفيذ اوامر السلطان والنائب ، والنظر فى الامور المالية للدولة ، بالاشتراك مع ناظر الدولة ، بعد ان كانت سلطته تتناول كافة شئون الدولة .

وقد تقلد الوزارة من العراقيين الوافدين الى مصر فى القرن السابع الهجرى عدد من الوزراء اولهم الوزير القاضى كمال الدين أبو عبد الله محمد بن القاضى عزيز الدين السنجارى ، الحنفى ، وكان وزيرا ومدرسا بالخاتونية والصادرية بدمشق . وكان من أوائل القادمين الى مصر بعد سقوط مدن العراق والشام فى ايدى المغول ما بين سنتى ٦٥٦ - ٦٥٩ هـ ، فلما

وصل الى الديار المصرية ، وبويع المستنصر بالله (ابو القاسم أحمد العباسي) بالخلافة في القاهرة ، عرضوا عليه الوزارة ، فوافق عليها . ويذكر اليوناني انه سافر صحبته لقتال المغول في العراق سنة ٦٥٩ هـ فاستشهد معه (٣٣) . ومن تولى الوزارة أيضا من العراقيين الاخوان بدر الدين يوسف ، وبرهان الدين الخضر ، ولدى الحسن بن على الزرزارى السنجارى . وكانا قد وفدا الى مصر في مستهل القرن السابع الهجرى ، وتولى كل منهما الوزارة والقضاء بمصر .

ولد اولهما ، بدر الدين يوسف بسواد اربل سنة ٥٧٨ هـ (٣٤) ، ونشأ أول امره بسنجار، وكانت له مكانته لدى الملك الاشرف موسى، الذى ولاه القضاء ببعلبك ومضافاتها وهى البقاع البعلبكي والبقاع العزيزى ، والزبدانى والجبال . وكان بدر الدين يوسف على صغر ولايته يرتدى أفخم الازياء ويكثر من الممالك والحاشية بحيث فاق بمظهره كبار الوزراء ، ثم عاد لسنجار مرة أخرى ليعمل قاضيا بها .

ولما مات الملك الكامل محمد فى مصر ، خرجت الخوارزمية على ولده الملك الصالح ، فسار الملك الصالح الى سنجار ، وهناك حاصره فيها بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فما كان من الملك الصالح الا أن ارسل بدر الدين يوسف الذى كان لا يزال يتقلد قضاء سنجار الى الخوارزمية ليصلح ما بينهم وبينه ، فخرج بدر الدين سرا من سنجار وخاطر بنفسه ومضى الى الخوارزمية واستمالهم ، فنازلوا حران ثم قصدوا سنجار وهرب صاحب الموصل تاركا الملك الصالح . اعجب الملك الصالح بموقف بدر الدين يوسف السنجارى ، فلما وصل بدر الدين الى مصر بعد ذلك استقبله الملك الصالح بحفاوة بالغة وقلده قضاء مصر والوجه القبلى مكافأة له ، وابقى القاهرة والوجه البحرى مع القاضى شرف الدين ابن عين الدولة . فلما توفى ابن عين الدولة نقل الملك الصالح بسدر الدين يوسف الى قضاء القاهرة والوجه البحرى . وحاول الامير الوزير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ان يوقع بين القاضى السنجارى وبين الملك الصالح

ولكنه اخفق في ذلك لان الصالح نجم الدين اخبره بان للسنجارى افضال كثيرة عليه لا يمكن ان ينساها .

عاد السنجارى الى سنجار فترة ، ثم تولى بعلبك ، وعاد الى مصر مرة ثانية (٣٣٥) تولى خلالها التدريس في المدرسة الصالحية (الواقعة بين القصرين) للطائفة الشافعية ، ثم تولى الوزارة للملك الصالح نجم الدين ايوب ، وفي ذلك يقول السيوطى «ووزر للصالح جمال الدين ابن على بن جرير الرقى ، ومعين الدين الحسن بن صدر الدين شيخ الشيوخ ، واخوه فخر الدين يوسف ، والقاضى بدر الدين السنجارى والقاضى تاج الدين ابن بنت الاعز . . .» (٣٣٦) . وكان بدر الدين اثناء تولية الوزارة يشارك في الامور المتعلقة بالدولة ويشاور فيها ، ويرجع في معظمها الى رايه . وعزل السنجارى عن الوزارة زمن شجرة الدر ، والسلطان عز الدين ايبك التركمانى ، وولده المنصور ، ولكنه عاد الى الوزارة مرة ثانية زمن المظفر قطز بالاضافة الى توليه قضاء القضاة . ولم يمض عام واحد على توليه الوزارة حتى عزل عنها وتولاها منافسه القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز (٣٣٧) .

ظل بدر الدين السنجارى يتدرج في المناصب الجليلة حتى اوائل عهد الظاهر بيبرس ، الذى صرفه عن ذلك ، فاعتزل ولزم منزله ، وكان الناس يترددون عليه لخدمته ، لما كان قد وصل اليه من مكانة مرموقة (٣٣٨) بين اعيان الدولة . ومن مآثر صاحب الوزير القاضى بدر الدين يوسف السنجارى انه انشأ مدرسة بالقرافة الصغرى وتربة له ، وتوفى بالقاهرة في العشر الاخير من رجب سنة ٦٦٣هـ زمن السلطان المملوكى الظاهر بيبرس (٣٣٩) ودفن بتربيته الخاصة . وقد وصفته المصادر بأنه كان كثير الاحسان يراعى الحقوق . ويذكر الكتبى ان الوزير القاضى بدر الدين السنجارى كان على صلة وثيقة وعلاقة ودية بتقى الدين اسماعيل بن ابراهيم التنوخى المعرى الدمشقى وله رسائل وقصائد تبادلها معه (٣٤٠) . اما اخوه برهان الدين خضر بن يوسف السنجارى فقد

ولد سنة ٦١٠ هـ (٣٣١) ولم يتول الا القضاء في عهد الظاهر بيبرس ، اما الوزارة فلم يتقلدها الا في سنة ٦٧٧ هـ في عهد السلطان الملك السعيد عقب وفاة الوزير صاحب بهاء الدين بن حنا . وكان السلطان الملك السعيد اذ ذاك في دمشق ، فلما بلغه نبأ وفاة ابن حنا « ارسل الى برهان الدين الخضر ابن الحسن السنجاري باستقراره وزيراً بالديار المصرية . » (٣٣٢) .

وقد اورد السيوطي بعض الابيات الشعرية التي نظمها برهان الدين عند تقلده الوزارة ، ومن هذه الابيات :

تهن بخلعة لبست جمالا * بوجه منك سمح يجتلوه

وقال الناس حين طلعت فيها * هذا البدر قلت لهم اخوه (٣٣٣)

ظل برهان الدين السنجاري يقوم باعباء الوزارة طوال عهد الملك السعيد . فلما اعتلى المنصور قلاوون دست السلطنة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رجب سنة ٦٧٨ هـ ، تمكن الامير علم الدين سنجر من الايقاع بين السلطان المنصور قلاوون وبرهان الدين السنجاري . فاقدم قلاوون في السادس عشر من رمضان سنة ٦٧٨ هـ ، وقيل في التاسع والعشرين منه ، على عزل برهان الدين السنجاري عن الوزارة ، وأمر بالقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى ، وأخذت خيولهما ، وخیول اتباعهما ، وبات صاحب برهان الدين وولده ، في دار الامير علم الدين الشجاعى ، « وأمر بالقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى وأخذت خيولهما ، وخیول اتباعهما ، وبات صاحب برهان الدين وولده ، في دار الامير علم الدين الشجاعى ، واستمر في التعويق اياما وقبض على حجابهما وخدامهما ، وطلبوا بما أخذوا من نقد وغيره ، حاصل طلاق وصدور مايتا الف وستة وثلثون الفا . . . » (٣٣٤) .

وفي شوال اطلق المنصور قلاوون سراح برهان الدين السنجاري وولده ، وأمره بأن يلزم مدرسة اخيه بدر الدين وداره بالقرافة الصغرى ، وعين على الوزارة بدلا منه فخر الدين بن لقمان ، كاتب السر ، وصاحب

ديوان الانشاء بالديار المصرية (٣٣٥) . استمر ابن لقمان في الوزارة حتى جمادى الآخرة سنة ٦٧٩ هـ ، ففي هذا التاريخ عفا المنصور قلاوون عن برهان الدين السنجاري ، فأعاده الى الوزارة للمرة الثانية (٣٣٦) وارجع ابن لقمان الى ديوان الانشاء . ولم تكن هذه المحنة اولى المحن التي يتعرض لها برهان الدين السنجاري ، فقد آذاه من قبل الوزير بهاء الدين ابن حنا عندما كان السنجاري قاضيا لمصر زمن الظاهر بيبرس ، فأوقع بينه وبين بيبرس فعزله عن القضاء وسجنه وضربه بالمقارع ، ثم افرج عنه معزولا فقيرا ليس بيده سوى مدرسة الملك المعز ليتقوت منها ، فلما مات صاحب بهاء الدين بن حنا (٣٣٧) في اواخر سنة ٦٧٦ هـ ، عين الملك السعيد برهان الدين على الوزارة كما سبق أن ذكرنا . اقام برهان الدين على الوزارة حتى ربيع الاول سنة ٦٨٠ هـ . ومنذ ذلك التاريخ يبدأ برهان الدين في التعرض لمحنة جديدة ، فقد صرف المنصور قلاوون برهان الدين صاحب عن الوزارة مرة ثانية ، وأمر بالقبض عليه هو وولده شمس الدين ، واعتقلهما بقلعة الجبل ، واستوزر مكانه نجم الدين حمزة بن محمد بن هبة الله الاصفوني ، وكذلك استوزر الامير علم الدين سنجر الشجاعى « وهو اول من ولى الوزارة من الامراء ، واول وزير ضربت على بابه الطبلخاناه على قاعدة وزراء الخلافة ببغداد » (٣٣٨)

ومن هذا العرض يتبين لنا المكانة السامية التي وصل اليها برهان الدين السنجاري العراقي في الدولة المملوكية بمصر ، والتي اثارت حسد وحقد كبار الامراء وعلى رأسهم علم الدين سنجر الشجاعى .

هذا وقد تعرض برهان الدين السنجاري لذلك للاضطهاد والسجن والضرب بالمقارع والتعذيب . وفي العاشر من شهر ربيع الاول من سنة ٦٨٢ هـ فوض الملك المنصور قلاوون لبرهان الدين النظر والتدريس بمدرسة الامام الشافعى بالقرافة ، وكان معلوم تدريسه بها كل شهر أربعين دينارا معاملة ، وعن النظر عشرة دنائير ، والجراية من الخبز كل يوم ستين رطلا بالرطل المصرى وراويتين من الماء (٣٣٩) الحلو . وكانت

هذه المدرسة قد خلت من المدرسين منذ ثلاثين عاما واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة حتى سنة ٦٧٨هـ عندما تولى التدريس بها قاضى القضاة تقى الدين ابن رزين ، ثم انقل التدريس بها بعد وفاته الى غيره حتى تولاهـا برهان الدين السنجارى . ثم اعاد المنصور قلاوون برهان الدين السنجارى للمرة الثالثة الى الوزارة بعد وفاة الوزير نجم الدين ابن الاصفونى ، ولكنه لم يلبث ان عزله من جديد بعد فترة قليلة من توليه الوزارة ثم تولى منصب قاضى القضاة سنة ٦٨٦هـ ، ولم يبق به الا عشرين يوما ثم توفى ، وقيل انه مات مسموما بايعاز من منافسة الامير علم الدين سنجر الشجاعى (٣٤٠) .

توفى القاضى الوزير برهان الدين خضر السنجارى بمنزله بالمدرسة المعزية بمصر وصلى عليه بمصلى خولان ، ودفن بالقرافة الصغرى بقرية اخيه بدر الدين . وتشير كل المصادر ان الاخوين بدر الدين وبرهان الدين كانا من اجود الناس وافضلها طباعا . وفى اواخر القرن السابع الهجرى ، يتقلد الوزارة امير عراقى هو (٣٤١) عز الدين ابيك البغدادى المنصورى سنة ٧٠١هـ فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية .

ومن الشخصيات العراقية الهامة فى مصر فى القرن السابع الهجرى صاحب موفق الدين ابو الحسين على يد محمد الامدى ، وكان من كبار الاعيان ، ورشح لوزارة مصر ، وولى الاعمال الكبار مثل نظر الشام ، وقوص والاسكندرية ، وتولى منصب ناظر النظار بالديار المصرية . وتوفى بالكرك فى ١٨ ذى الحجة سنة ٦٧٤هـ فى الخامسة والثمانين من العمر (٣٤٣) .

ج - القضاء :

أولا - أسرة بنى درباس ، تولى عدد من افرادها القضاء فى مصر الايوبية منذ القرن السادس الهجرى ، واستمروا يتولون هذا المنصب الهام حتى النصف الاول من القرن السابع الهجرى .

وأبرز شخصيات هذه الاسرة هو صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردى الموصلى الشافعى ، الذى تولى قضاء القضاة بالقاهرة سنة ٥٦٦هـ فى وزارة صلاح الدين الايوبى للعاضد الفاطمى ، وصرف عنه بعد وفاة صلاح الدين وبالذات فى ربيع الاول سنة ٥٩٠هـ فى سلطنة العزيز عثمان ، ثم مالبث أن اعيد الى القضاء سنة ٥٩٤هـ ، وصرف فى جمادى الاولى من سنة ٥٩٥هـ (٣٤٣) . ومن أهم أفراد هذه الاسرة الاخوان أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس ، وضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس ، وكلاهما تولى قضاء القضاة بالديار المصرية . أما الاول أبو القاسم عبد الملك ، فقد ولد سنة ٥١٦هـ وتفقّه بحلب ثم تولى منصب قاضى القضاة بالديار المصرية ، وتوفى بها فى رجب سنة ٦٠٥هـ .

أما الثانى أخوه ضياء الدين عثمان الكردى الموصلى فقد ناب عن أخيه صدر الدين فى الحكم بالقاهرة . وله العديد من المؤلفات منها « الاستقصاء فى شرح المذهب » . ويذكر السيوطى أنه كان من أعلم فقهاء عصره بالمذهب ومن أكثرهم مهارة فى أصول الفقه . وتوفى ضياء الدين فى الثانى من ذى القعدة سنة ٦٢٢هـ وقد قارب التسعين ، ودفن بالقرافة (٣٤٤) .

وقد انجب أبو القاسم عبد الملك ، ولدا ، هو أبو طاهر اسحق ، تولى هو الآخر القضاء ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦١٢هـ ، ودفن بتربة بنى درباس بسفح المقطم (٣٤٥) . أما الثانى فقد انجب جمال الدين أبو اسحق ابراهيم الذى كان فقيها محدثا شاعرا ، ولكنه رحل من مصر ، ومات بين الهند واليمن سنة ٦٢٢هـ (٣٤٦) .

ثانيا - اسرة الحسن السنجارى ، تولى القضاء بمصر كل من بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى ، وشقيقه برهان الدين الخضر ، الى جانب توليهما الوزارة كما سبق أن ذكرنا .

أما بدر الدين يوسف السنجارى فقد تولى قضاء مصر والوجه القبلى زمن الملك الصالح نجم الدين ايوب فى ربيع الآخر من سنة ٦٣٩هـ ، وظل قضاء القاهرة والوجه البحرى للقاضى شرف الدين بن عين الدولة ، وفى ذى القعدة من نفس السنة توفى ابن عين الدولة فتولى بدر الدين السنجارى بعده قضاء القاهرة والوجه البحرى تاركا قضاء مصر والوجه القبلى للقاضى عز الدين ابن عبد السلام .

وفى جمادى الاولى سنة ٦٤٨ هـ صرف بدر الدين السنجارى عن قضاء القاهرة والوجه البحرى لفترة قصيرة ثم عاد الى قضاء القاهرة مرة ثانية ، وذلك فى رجب سنة ٦٤٨ هـ ، ثم اضيف اليه قضاء مصر بعد ايام يسيرة فى شوال من نفس السنة (٣٤٧) .

وفىما بين صرف بدر الدين السنجارى عن قضاء القاهرة وعودته اليها مع قضاء مصر مرة ثانية تولى قضاء مصر والوجه القبلى ، قاضى عراقى آخر هو صدر الدين مرهوب بن عمر الجزرى فى نفس سنة ٦٤٨ هـ . وفى سنة ٦٥٤ هـ صرف بدر الدين السنجارى عن قضاء مصر والقاهرة وخلفه فيه اخوه برهان الدين خضر السنجارى (٣٤٨) . ولم تمض شهور قليلة حتى صرف برهان الدين الخضر السنجارى عن القضاء وتولاه بدلا منه تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز (٣٤٩) الى ان توفى السلطان الملك المعز ايبك فتولى القضاء بالقاهرة وحدها بدر الدين السنجارى فى ربيع الآخر سنة ٦٥٥ هـ ، وبقي مع ابن بنت الاعز قضاء مصر فقط . ثم اضيف قضاء مصر ايضا الى بدر الدين السنجارى فى رجب من تلك السنة ، فاقام الى جمادى الاولى سنة ٦٥٩ هـ على قضاء مصر والقاهرة ، ثم عزل وأعيد ابن بنت الاعز على قضاء مصر والقاهرة معا .

وفى شوال سنة ٦٦١ هـ عزل ابن بنت الاعز عن قضاء مصر وحدها ، وتولاه برهان الدين الخضر السنجارى ، وبقي قضاء القاهرة مع ابن بنت الاعز . وفى رمضان سنة ٦٦٢ هـ صرف قضاء مصر عن السنجارى

واضيف الى ابن بنت الاعز حتى وفاته يوم الاحد ١٧ رجب سنة ٦٦٥ هـ (٣٥٠) .

ومن الجدير بالذكر أن القضاء بمصر كان يتولاه قاض واحد بالديار المصرية من أى مذهب حتى عهد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الذى قرر فى سنة ٦٦٣ هـ أربعة قضاة بالديار المصرية على مذاهب الائمة الاربعة لعدم اقتناع بيبرس بحكم حكم به قاضى القضاة فى ذلك الوقت تاج الدين ابن بنت الاعز (٣٥٢) .

وقد تحدثنا فى الصفحات السابقة عن المحن التى تعرض لها برهان الدين الخضر السنجارى زمن المنصور قلاوون ، وعرفنا انه عاد الى منصب قاضى القضاة سنة ٦٨٦ هـ فلم يلبث الا اياما حتى توفى وخلفه القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن منافسه القاضى تاج الدين بن بنت الاعز .

٣ - القاضى شمس الدين احمد بن خلكان البرمكى (المؤرخ صاحب كتاب وفيات الاعيان) من نسل خالد بن برمك ، ولد احمد بن محمد ابن ابراهيم بن خلكان قاضى القضاة باريلى سنة ٦٠٨ هـ ، وقد تفقه بالموصل وحلب ، ثم دخل مصر واقام بها فترة طويلة .

تولى ابن خلكان الحكم عن القاضيين السنجاريين ، بدر الدين يوسف واخيه برهان الدين الخضر . ففى عام ٦٥٩ هـ ناب عن برهان الدين السنجارى فى القضاء ، ثم تولى قضاء الشام عشر سنرات ، وعزل منه سنة ٦٦٩ هـ ، فعاد الى مصر ، وعاش بها سبع سنوات معزولا ثم رد الى قضاء الشام . وتوفى القاضى المؤرخ ابن خلكان بدمشق فى رجب سنة ٦٨١ هـ (٣٥٣) .

٤ - اسرة فخر الدين عثمان بن ابراهيم الماردينى الشهير بابن التركمانى: مؤسسها فخر الدين عثمان الماردينى ، الذى انتهت اليه رئاسة

الحنفية بالديار المصرية وتخرج عليه خلق كثير ، وشرح الجامع الكبير والقاء دروسا بالمنصورية . وتوفى بالقاهرة سنة ٧٣١هـ عن إحدى وثمانين سنة . وكان له ولدان أحدهما تاج الدين أحمد الذى ولد بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ٦٨١هـ وتفقه ، ودرس وعمل مفتيا ، وصنف فى الفقه وأصوله كما تخصص فى النحو والمنطق . ومن تصانيفه شرح الهداية ، وشرح الجامع الكبير . وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٤هـ .

وثانيهما علاء الدين على ، ويذكر السيوطى انه من مواليد سنة ٧٨٣هـ ، ولكننا نعتقد أن السيوطى أخطأ فى ذكر ذلك التاريخ لأن والده توفى سنة ٧٣١هـ ، لذلك فنحن نرجح أن يكون السيوطى أخطأ فى ذكر العام ٧٨٣هـ وأنه قصد بدلا منه عام ٦٨٣هـ .

وكان علاء الدين على ، اماما فى الفقه والأصول ، وله تصانيف رائعة مثل «مختصر علوم الحديث لابن الصلاح» والرد على البيهقى ، وتوفى فى المحرم سنة ٧٤٥هـ ، وتاريخ وفاته هذا يؤكد أنه ولد سنة ٦٨٣هـ .

وقد انجب علاء الدين على ولدين ، أحدهما مات فى حياة أبيه ، والثانى جمال الدين عبد الله ، تولى قضاء الديار المصرية بعد وفاة أبيه فى القرن الثامن الهجرى ، واستمر أبناء الأسرة يتوارثون قضاء الديار المصرية خلال القرن الثامن الهجرى (٣٥٣) .

ومن القضاة العراقيين الذين تقلدوا القضاء فى مصر القاضى عماد الدين أبو عمرو عثمان ، الذى تفقه بالموصل ثم قدم الى مصر وتوفى فى ربيع الاول سنة ٦٢٠هـ (٣٥٤) . ومنهم صدقه بن أبى الكرم الذى تفقه ببغداد على ابن فضالان ، ثم قدم الى مصر ، وتولى القضاء بأعمال الاشمونين (٣٥٥) . ومنهم برهان الدين بن على سبط ابن عبد الحق الواسطى ، قاضى الديار المصرية الذى توفى فى سنة ٦٤٤هـ ، وكذلك أبو الفضل محمد بن على الذى سَمِعَ ببغداد ودمشق

ثم انتقل الى القاهرة وعمل بها نائبا في الاحكام، كما حدث وصنف كتبها منها «قواعد الشرع ، وضوابط الاصل والفرع» ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٧٥ هـ (٣٥٦) .

اما محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني ، الحنبلي ، فقد رحل من دمشق الى مصر واقام بها مدة يحضر درس الشيخ القاضي عز الدين بن عبد السلام ، وتولى محمد الحراني قضاء بعض اعمال الديار المصرية ، ثم ترك القضاء وعاد الى دمشق .

ويذكر ابن العماد انه اول حنبلي حكم بالديار المصرية ، وتوفى (٣٥٧) بدمشق سنة ٦٧٦ هـ والقاضي نجم الدين احمد بن حمدان بن شبيب الحراني الحنبلي ، درس بحلب ودمشق ثم جاء الى مصر وتولى بها نيابة القضاء بالقاهرة . وعاش ما تبقى من حياته بمصر وتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٥ هـ عن اثنين وتسعين عاما . وتفقه به وتخرج عليه جماعة كثيرة (٣٥٨) . اما الامير الاديب شمس الدين ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الهمدي الحنبلي ، الذي ولد بمصر في ١٣ محرم سنة ٦٣٣ ، فقد تولى نيابة دار العدل زمن الاشرف خليل بعد ان كان المنصور قلاوون قد امر بسجنه . وتوفى بمصر سنة ٧٠٤ هـ اثر سقوطه من فوق فرسه فكسرت اعضاؤه (٣٥٩) .

واخيرا قاضي القضاة شرف الدين ابو محمد عبد الغني الحراني الحنبلي ، وهو الذي تولى منصب ناظر الخزانة بالديار المصرية ثم اضيف اليه قضاء الحنابلة والتدريس بالصالحية ، وكان مولده سنة ٦٤٥ هـ بحران وتوفى سنة ٧٠٩ هـ بمصر ودفن بالقرافة (٣٦٠) .

د - مناصب ادارية اخرى تولها العراقيون بمصر :

١ - تولى رجل يدعى « الحراني » منصب والي القاهرة سنة ٦٦٤ هـ ، ويذكر ابن اياس انه عمل على القضاء على المفاسد بها ، فعاقب

من يحتسون الخمر بصلبهم ومنهم رجل اسمه الكازرونى ، يقول ابن اياس : « وتولى الحرانى والى القاهرة اهراق الخمر ، وحرق الحشيش وتبديد المزور . . » وقد نظم الاديب ابن دانيال الموصلى ابياتا من الشعر بهذه المناسبة أوردها ابن اياس فى بدائع الزهور (٣٦١) .

٢ - تولى عبد المؤمن بن عبد الوهاب البغدادى المعروف بابن المجير (٣٦٣) التاجر ولاية قوص من الديار المصرية ، وتوفى سنة ٧٤٢هـ

٣ - تولى جمال الدين اقوش الموصلى منصب « حاجب » ، وكان اقوش من خشداشية المنصور قلاوون ، واحد المتآمرين على قتل الاشرف خليل ، لذلك قبض عليه الاشرفية هو وسيف الدين بهادر وقتلوهما يوم ٢٥ محرم سنة ٦٩٠هـ (٣٦٣) .

٤ - من الامراء العراقيين الذين قرروا فى الاجناد بالقاهرة على بن اسحق بن لؤلؤ الموصلى ابن المجاهد بن بدر الدين صاحب الموصل ، ولد سنة ٦٥٧هـ بالجزيرة وقدم الى القاهرة ، وسمع على الفقيه العز الحرانى ، والنجيب وابن علاق ، وتوفى بمصر بعد ان عمل فى جيشها سنة ٧٣١هـ (٣٦٤) .

٥ - من امراء ومماليك الملك السعيد العراقيين سيف الدين قلعج البغدادى (٣٦٥) وسنقر التكريتى وايدغدى الحرانى (٣٦٦) ، ومن مماليك المنصور قلاوون الامير ركن الدين منكورس الفارقانى الذى كان سجيناً ثم افرج عنه المنصور سنة ٦٨٠هـ ، وقد اشترك فى فتوح طرابلس الشام سنة ٦٨٨ ، واستشهد فى هذه السنة (٣٦٧) . ومن امراء الناصر محمد العراقيين والامير عبد القادر بن المغيث بن عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن الامير عبد القادر بن المغيث ابن عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولد سنة ٦٤٢هـ ، وكان يزور دمشق كل عام ويعود لمصر مرة ثانية ، وتوفى بالرملة سنة ٢٣٧هـ (٣٦٩) .

ونصل الى نهاية دراستنا بنتيجة هامة وهى أن العراقيين فى مصر فى القرن السابع الهجرى اسهموا بنصيب وافر فى كل مجالات الحضارة بمصر وكان لهم دور هام واثر فعال فى المجتمع المصرى ، وكان ظهور العراقيين فى مصر فى هذا القرن مقدمة للدور الريادى الذى سيضطلع به العراقيون فى القرون التالية .

الحسـواشي

الحواشي

(١) تولى السلطان ألب أرسلان السلطنة بعد عمه طغرل بك سنة ٤٥٥هـ، وفي عهده كان ملك دولة الاتراك السلاجقة يمتد من حدود بلاد الافغان شرقا الى حدود الدولتين البيزنطية والفاطمية غربا .

وبرز هن سلاطين السلاجقة الاوائل ، ثلاثة سلاطين عظام هم على التوالي طغرل بك ، ألب أرسلان ، وملكشاه .

وقد حارب سلاطين السلاجقة الدولة البيزنطية ، وأحرزوا عليها انتصارات حاسمة أهمها ، انتصارهم في موقعة ملاذكرد (١٠٧١م) عندما أسروا الامبراطور البيزنطي رومانوس ديو جانيس Romanos Dio Genes ، ووضع ألب أرسلان قدمه على رقبة الامبراطور الم هزوم على العادة التركية . وفي عهد السلطان ملكشاه الذي خلف أباه ألب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) (١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) استولى السلاجقة على حلب ، والموصل ، وقضوا على سيطرة القبائل العربية في بلاد الجزيرة ، كما استولوا على دمشق والقدس . (عن الدولة السلجوقية أنظر احمد بن على المقریزی ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د . مصطفى زيادة ، الجزء الاول ، القسم الاول ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ، ص ٣٠ - ٤١)

وعن السلطان ملكشاه ارجع الى (الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، طبعة ١٩٦٦ ، الجزء ١٢ ، ص ١٤٢) .

(٢) لم يعد للخليفة العباسي من سلطان سوى ذكر اسمه في الخطبة ، ونقش اسمه على المسكة . وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء ان ملكشاه السلجوقي أصر على طرد الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله من بغداد سنة ٤٨٥هـ لتدخله في شئون الحكم، فانزعج الخليفة، وأرسل اليه يطلب مهلة ولو شهرا . فرفض ملكشاه أن يمهلة ولو

ساعة واحدة ، واتفق مرض السلطان وموته ، وعد ذلك كرامة للخليفة (الحافظ جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، طبعة دار التراث ببيروت ، ص ٣٩٢) .

(٣) اتابك ، كلمة تركية ، تتكون من مقطعين ، اطا بمعنى المربي ، أو اب ، وبك بمعنى الامير . واول من تلقب به الوزير نظام الملك ، وذلك منذ أن فوض اليه السلطان ملكشاه بن الب أرسلان تدبير المملكة في سنة ٤٦٥ هـ (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ، مجموعة تراثنا ، الجزء ٤ ، ص ١٨ ، نيكلسون ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ، مادة - آتا - طبعة مصر ١٩٣٣ ، ص ٤٢٣ ، رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل ، بعد عماد الدين زنكي ، طبعة ١٩٧٠ ، ص ٢٧) .

(٤) حسين أمين ، العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٢٠٩

(٥) وهناك أيضا أتابكية دمشق التي تنسب الى طغتكين ، والتي امتدت من سنة ٤٩٧ الى ٥٤٩ هـ ، وقد انتهى حكم هذه الاسرة عندما انتزعها نور الدين محمود سنة ٥٤٩ هـ من صاحبها مجير الدين بن محمد بن بوري بن طغتكين (ابن القلانسي حمزة بن أسد التميمي ، ذيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢٤ - ابن الاثير « عز الدين علي بن أبي الكرم » ، الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٦ ، الجزء ١١ ، ص ١٩٧) . ثم انتقلت بعد ذلك الى الايوبيين ، ومنها أتابكية ارمينية (٤٩٣ - ٦٠٤ هـ) ومؤسسها سقمان القطبي مملوك قطب الدين اسماعيل الحاكم السلجوقي في مدينة مرند بأذربيجان (ابن الاثير ، الكامل ، الجزء ١٢ ، ص ٢٧ وما يليها ، وعن بلاد ارمينية أرجع لنفس المصدر ، ص ٦٠٥) وأيضا أتابكية خوارزم التي كان يتولاها محمد بن انوشتكين ،

وكان قدولاه بركياروق ابن ملكشاه على خوارزم ، ومنحه لقب شاه في سنة ٤٩٠هـ (ابن الاثير ، الكامل ، الجزء ١٠ ، ص ٢٦٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٢ ، ص ١٥٤) .

(٦) كان قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله ، والد عماد الدين زنكى هو مؤسس هذه الاسرة او الاتابكية ، وكان مملوكا تركيا من ممالك ملكشاه ، ومن اخص اصحابه ، فلما تولى ملكشاه السلطنة اقطع صديقة آق سنقر حلب ، واعمالها ، وحماة ومنبج واللاذقية سنة ٤٨٠هـ ، وتكريت . وقد توفي آق سنقر في احدى حروب الوراثة السلجوقية تاركا ولده الصغير عماد الدين زنكى في العاشرة من عمره ، فنشأ عماد الدين في كنف احد اصحاب والده ، وهو قريوجا امير الموصل ، وتولى زنكى شحنة واسط ثم اضيفت له البصرة سنة ٥١٨هـ ، ثم انتهى به الامر ان يصبح اميرا على الموصل وماحولها كالجزيرة ونصيبين ، وقد انقذه نجم الدين ايوب ، صاحب تكريت بعد هزيمته في احدى المعارك ، فلما طرد نجم الدين ايوب من مدينته ، اجاره عماد الدين زنكى واسرته ، وساعده نجم الدين ايوب في الاستيلاء على حلب سنة ٥٢٢هـ وانقذها من تهديد الصليبيين لها ، وساعده في الاستيلاء على بعلبك سنة ٥٣٣هـ . واستولى عماد الدين زنكى بمساعدة نجم الدين ايوب واخيه اسد الدين شيركوه على دمشق ٥٣٩هـ . ولما قتل زنكى على يد احد ممالكه في ٥٤١هـ خلفه نور الدين محمود ، ابنه ، على حكم حلب ، وابنه سيف الدين غازى على الموصل ، وكان له من الابناء ايضا قطب الدين مودود (ولمزيد من التفاصيل ارجع الى ابن الاثير ، الكامل ، الجزء ١١ ص ١١٠ - ١١٢ ، عبد الرحمن ابو شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين ، تحقيق د . محمد حلمى احمد ، الجزء ١ ، ص ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ابن واصل « جمال الدين محمد بن سالم الحموى » مفرج الكرب في اخبار بنى ايوب ، تحقيق د .

جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ، الجزء ١ ص ١١ - ٢٧ ،
ابن خلكان « شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر » ، وفيات
الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، طبعة
بيروت ، المجلد الاول ، ص ٢٤١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ،
الطبعة الاولى ، ١٩٦٦ ، الجزء ١٢ ، ص ١٤٧ ، القلقشندي ،
صبح الاعشى ، الجزء ٤ ، ص ٣١٥ - رشيد الجميلي ، دولة
الاتابكة في الموصل ، ص ٣٠ - ٥٣ - سعيد الديوه جي ، الموصل
في العهد الاتابكي ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ١٦ - ٣٠) .

(٧) عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، الاسكندرية
١٩٥٨ ، ص ٥ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٩١ ، الجزء ٨ ، ص ١٨٩ .
وارجع الى سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، الجزء
١ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٤٤ .

Rousset, Histoire Des Croi ades, Paris, 1957, P. 104.

(٩) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ .

(١٠) ابن واصل ، مفرج الكروب ، الجزء ١ ، ص ١٦٠ - المقریزی ،
السلوك الجزء ١ ، ص ٤١ - ٤٢ .

(١١) راجع نص التقليد في مجموعة الوثائق الفاطمية ، جمعها وحققها
د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٠٥ - ٤١٥ ،
وكذلك توقيع العاضد على طرة السجل بنفس المصدر ، ص ٤١٩ .

(١٢) كان عموري ملك بيت المقدس قد أرسل وفدا بقيادة وليم الصوري
الى بيزنطة سنة ٥٦٠هـ وعاد الوفد بعد عامين ، وأسفرت هذه
السفارة عن مصاهرة بين الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين ،
وعموري ملك بيت المقدس ، اذ تزوجت ماري ابنة اخ مانويل

كومنين من عمورى ، كما عقدت اتفاقية عسكرية بين الطرفين من
آثارها ، هذا الهجوم البيزنطى / الصليبي المشترك على دمياط
سنة ٥٦٥ هـ ، فقد اتجهت الحملة المشتركة الى دمياط ، ولكن الحملة
فشلت لاسباب طبيعية ناتجة عن سقوط أمطار غزيرة ، ولخلاف
نشب بين البيزنطيين والصليبيين (ابن الاثير ، الكامل ، الجزء
١١ ، ص ٣٥٢) .

(١٣) كان جوهر من زعماء الجند السودانيين فى الجيش الفاطمى ،
وكان أحد الاستاذين المحنكين بالقصر الفاطمى ، وكان طامعا
فى اعتلاء دست الوزارة ، بدلا من صلاح الدين يوسف ، باعتبار
أن شاور قتل بخنجره الخاص به ، فتواطأ مع الصليبيين لاقضاء
صلاح الدين عن مصر ، ولكن صلاح الدين تمكن من القبض على
رسول جوهر الى عمورى ملك بيت المقدس ، وأقدم على قتل
جوهر مما أثار الجند السودانيين وكان عددهم حوالى ٥٠ ألفا ،
واضطر توران شاه اخو صلاح الدين الى الاشتباك معهم فى ساحة
مابين القصرين ، وانتهى الامر بهزيمتهم ، وفرار كثير منهم الى
الصعيد (ارجع الى المقرئى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والآثار ، الجزء ١ ، المجلد الثانى ، طبعة مكتبة العرفان ، لبنان
ص ٤٠٢ - ٤٠٤) .

(١٤) لاننى أن الفاطميين كانوا يحرصون على رفع شأن القاهرة حتى
تصبح المنافس العتيد لكل من بغداد وطرقبة ، فبالغوا فى تفخيم
مكانتها بين قواعد العالم الاسلامى ، وأسرفوا فى التوسع فى
عمرانها ، وأمهروها بأروع المنشآت الدينية والعلمية ، وكان تحويل
جامعها الازهر الى جامعة علمية أعظم الاثر فى اجتذاب العلماء
وطلاب العلم المسلمين من الشرق والغرب ، وانتجاع ارباب الفنون
والصناعات الى ساحتها .

(١٥) المقرئزى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٣ - ٤٤ - ابن تغرى
بردى «جمال الدين ابو المحاسن يوسف» النجوم الزاهرة فى ملوك
مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء ٥ ،
ص ٣٥٧ .

(١٦) السيد الباز العرينى ، مصر فى عصر الايوبيين ، طبعة بيروت
١٩٦٧ ، ص ١٩ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ،
الاسكندرية ١٩٦٧ ، الجزء ٢ ، ص ١١ - ١٢ .

(١٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ، الجزء ٢ ، ص ٣٤ ، المقرئزى ،
السلوك ، الجزء ١ ، ص ٥٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،
الجزء ٦ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٨) المقرئزى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٦٠ .

(١٩) كان صلاح الدين قد سير اخاه توران شاة على رأس حملة لفتح
اليمن سنة ٥٦٩ هـ استجابة لطلب الخليفة العباسى ، وكان الدافع
من وراء حملة نوران شاة على اليمن ، القضاء على الاوكر
الشيعة التى تكونت هناك ، وتمثلها الدولة الصليحية ، ودولة بنى
زريع ، ودولة بنى نجاح ، ودولة بنى مهدى ، وكانت كلها دولا
شيعة تتبع الدولة الفاطمية فى مصر ، كذلك اراد صلاح الدين
تأمين الطريق التجارى الى الهند بالسيطرة على مدخل البحر
الاحمر الجنوبى بعد ان استولى صلاح الدين على ايلة سنة ٥٦٦ هـ ،
يضاف الى ذلك ان صلاح الدين استجاب لرغبة الخليفة العباسى فى
محاربة عبد النبى بن مهدى صاحب زبيد الذى ادعى النبوة .
وهذا يفسر سبب اهتمام الخلافة العباسية بمصر ، مركز الثقل فى
المنطقة ، واعتماده على صلاح الدين الذى كان يدين بالطاعة والولاء
للخليفة العباسى ، ويسنجيب لكل ما يريده ، ويقر بسيادته وسيادة

المذهب السني في العالم الاسلامي . (المقریزی ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٥٢ ، ابن تعری بردی ، النجوم الزاهرة ، الجزء ٦ ، ص ٢٣)

(٢٠) كان الخليفة العباسي المستضيء بنور الله قد قلّد صلاح الدين سنة ٥٧٠هـ حكم مصر واليمن والشام كله ماعدا حلب وأعمالها التي استثنّاها للصلح اسماعيل بسبب مآثر أبيه وسابقته في الدفاع عن الاسلام .

(٢١) ولذلك لم يحاول الخليفة العباسي الناصر التوسط للصلح بين صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل ، عندما كان صلاح الدين يحاصرها ، مما أرغم عز الدين مسعود الى ارسال ابن شداد رسولا من قبله لصلاح الدين ، معلنا تنازله عن بلاده لصلاح الدين ، وخطبته له على منابر الموصل (ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٧٠) .

(٢٢) بدری محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦ .

(٢٣) ابن الفوطی (کمال الدين عبد الرازق بن احمد الشيباني) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقب ، الجزء ٤ ، تحقيق د . مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ، بدمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ، ص ٤٥٠ .

(٢٤) بدری محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٣٨ .

(٢٥) لمزيد من التفاصيل ارجع الى المقریزی ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، الجزء ١٢ ، ص ٣٥٨ - ٣٦٠ .

- (٢٧) المقرئزى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٣٤٢ .
(٢٨) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٣٨ وما يليها .
(٢٩) السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١١٩ .

- (٣٠) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، الجزء ٦ ، ص ٣٧٤ .
(٣١) المقرئزى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٣٦٨ .

- (٣٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، الجزء ١ ، ص ٢٥٦ - المقرئزى السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٢ .

- (٣٣) ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ص ٥ ، والدردار ، بضم الدال المهملة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة ، وبعدها ألف وراء مهملة ، معناها بالعجمى ، متولى القلعة .

- (٣٤) عبد الرحمن فهمى ، العمارة قبل عصر المماليك ، مقال بكتاب القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها - طبعة مؤسسة الاهرام ، ص ٢٣٠ . وقد تمثلت التقاليد العراقية فى مصر زمن صلاح الدين الايوبى ومن بعده من سلاطين الايوبيين فى ظهور نظام المدارس السلجوقية فى مصر .

- (١٠٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، الجزء ١ ، ص ٢٦٠ - المقرئزى ، السلوك الجزء ١ ، ص ٤٣ - ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٦ ، ص ٦ . وفى ذلك يقول ابو المحاسن «وكان وصوله (أعنى نجم الدين) الى القاهرة فى شهر رجب سنة خمس وستين وخمسائة فلما قرب نجم الدين الى الديار المصرية ، خرج ابنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر الى ملاقاته ... » .

(٣٦) عن شيوخ الاسكندرية السنة ومدارسهم ارجع الى المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٦٣ ، ٧٦ وارجع كذلك الى ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، الجزء ٢ ، ص ٥٠٤ .

وعن رحلات العلماء العراقيين الى مصر ارجع الى محمد زغلول سلام ، الادب فى عصر صلاح الدين الايوبى ، طبعة الاسكندرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٥٩ .

(٣٧) تأصل المذهب السنى فى مدينة الاسكندرية منذ النصف الثانى من عصر الدولة الفاطمية، وتمسك أهلها بسنيتهم رغم الجهود التى كان يبذلها دعاة التشيع فى مصر ، ويرجع الفضل فى ذلك الى ما كان يبذله فقهاء الاسكندرية من السنة لمناهضة التشيع فى مصر ، ومن أهم هؤلاء الفقهاء السنة على المذهب المالكى ، أبو الطاهر بن عوف ، والفقيه الحافظ أبى الطاهر السلفى . وقد دفع هذا الوزيرين السنيين ، رضوان بن ولخى ، وعلى بن السلار ، الى انشاء مدرستين سنيتين بالاسكندرية ، دعما للمذهب السنى ، فأنشأ رضوان بن ولخى المدرسة الحافظية أو العوفية سنة ٥٣٢ هـ ، ونسبت الى الفقيه أبى الطاهر بن عوف الذى تولى التدريس بها . أما على بن السلار ، فقد أنشأ المدرسة السلفية ، نسبة الى أبى الطاهر السلفى القائم بالتدريس فيها ، سنة ٥٤٤ هـ ، وعرفت أيضا بالعادلية . وهذا يعنى ان مصر فى العصر الفاطمى شهدت قيام المدارس السنية ، قبل دخول الايوبيين ، ولكن الفضل يرجع لصلاح الدين فى أنه عمل على تعميم نظام المدارس السلجوقية السنية وادخاله لها بصورة رسمية ، وكانت المدارس فى عهده كبيرة تحتوى على مسجد وحمام ، وكان يجرى رواتب للطلاب الدارسين فكانت أشبه بالجامعات العلمية (السبكى ، طبقات الشافعية ، مطبعة النيل ، مصر ١٣٢٤ ، الجزء ٤ ، ص ٤٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية

مصر ١٩٣٢ ، الجزء ١٢ ، ص ٣٠٧ - القلقشندى ، صبح الاعشى ،
الجزء ١٠ ، ص ٤٥٨ - ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى
اعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، طبعة دار
الكتب الحديثة بعابدين ، الجزء ١ ، ص ٣١٦ - السيد عبد العزيز
سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ،
الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٣١٨ ، ص ٢١٩) .

(٣٨) أول مدرسة سنية بناها صلاح الدين فى مصر هى المدرسة الصلاحية
بجوار قبر الامام الشافعى بالقرافة ، لتدريس المذهب الشافعى ،
وقد سميت هذه المدرسة فيما بعد بالمدرسة الناصرية ، شرع فى
بنائها سنة ٥٧٢هـ ، وخصص صلاح الدين للتدريس والنظر بها
الشيخ نجم الدين الخبوشانى . وكانت مدرسة فسيحة متسعة رائعة
البناء ، تضم حماما . وحرص صلاح الدين على أن يتولى التدريس
بها اكابر العلماء . وكان أول من درس بها الفقيه الخبوشانى الذى
يرجع اليه الفضل الاعظم فى اعلان سقوط الدعوة الفاطمية على
منابر المسجد الجامع يوم الجمعة الاولى من المحرم سنة ٥٦٧هـ
وظل الخبوشانى يتولى التدريس حتى وفاته سنة ٥٨٧هـ وكان الفراغ
من بناء المدرسة سنة ٥٧٨هـ (ابن جبير ، الرحلة ، تحقيق وليم
رايت ، العدد الخامس من مجموعة جب التذكارية ، ليدن ، ١٩٠٧)
ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن المدرسة ، وعن العلماء الذين تولوا
التدريس بها ، ارجع الى (جلال الدين السيوطى ، حسن المحاضرة
فى اخبار مصر والقاهرة ، طبعة مطبعة الموسوعات بمصر ، الجزء
٢ ، ص ١٥٧) .

(٣٩) أول من بنى المدارس فى الاسلام هو الوزير نظام الملك أبو على
الحسن بن على بن اسحاق بن عباس الطوسى ، السلجوقى ، بنى
المدارس والربط والمساجد فى البلاد ، وشرع فى عمارة مدرسته فى

بغداد سنة ٤٥٧هـ ، وفي سنة ٤٥٩هـ جمع الناس ليدرسوا بها . واول من درس بها الشيخ أبو اسحق الشيرازي (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، الجزء ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - السيوطي ، حسن المحاضرة ، الجزء ٢ ، ص ١٥٦) وان كان السيوطي يذكر أنه اقيمت في نيسابور أربعة مدارس قبل نظام الملك ، منها المدرسة البيهقية والمدرسة السعيدية التي بناها الامير نصر الدين بن سبكتكين ، ومدرسة أبو سعد اسماعيل الاسترأبادي الصوفي الواعظ ، ويفسر السيوطي ذلك التناقض بأن نظام الملك هو اول من رتب في مدرسة المعاليم للطلبة .

(٤٠) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الايوبى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢٨ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٣١ ، وأن كانت قد وصلت اليها نصوص تشير الى وجود نظام الحمام الهوادى قبل نور الدين (نظير حسان سعداوى ، نظام البريد فى الدولة الاسلامية القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١١٢ ، ١١٥) .

(٤٢) مما يدل على ذلك أن المصادر العربية تذكر ان صلاح الدين أمر عساكره التى كانت تحاصر صور سنة ٥٨٣هـ ، عندما حل الشتاء وطالت مدة الحصار ، بالعودة الى بلادهم ، فأمر عسكر الشام بقضاء الشتاء فى بلادهم ، وكذلك أمر عسكر مصر بالقفول اليها ، وعسكر الجزيرة بالعراق بالعودة اليها (أبو شامة ، الروضتين ، الجزء ٢ ، ص ١٣٤ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، الجزء ٢ ، ص ٢٧٢)

(٤٣) الذهبى ، دول الاسلام ، طبعة الهند ، ١٣٦٥هـ ، الجزء ٢ ، ص ١٢٠ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من

ذوى السلطان الاكبر ، القاهرة ١٢٨٤هـ ، ص ٣٦٤) ومن الادباء
للذين كتبوا مقامات يصفون فيها ماكانت عليه الخلافة قبل سقوط
بغداد الكازرونى (الكازرونى ، مقامه فى قواعد بغداد فى الدولة
العباسية ، نشر كوركيس عواد ، ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٦٢) .

(٤٤) زكى حسن ، الفنون الاسلامية ، ١٩٤٩ ، ص ٥٤٤ - سعاد ماهر
محمد ، كتاب الفنون الاسلامية القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٥٦ ، ١٥٠ - نعمت
اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط فى العصور الاسلامية ، ص
١٣٩ - سعيد الديوه جى ، اعلام الصناعات المواصلات ، بغداد ١٩٧٠ ،
ص ٢٩ ، ٨٦ - احمد مختار العبادى ، قيام دولة المماليك فى مصر
والشام ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٤٨ - بدرى محمد فهد ، تاريخ
العراق فى العصر العباسى الاخير ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٤٥) اليونينى . (قطب الدين أبى الفتح موسى بن محمد) ذيل مرآة
الزمان ، حيدر آباد ، ١٩٥٤ ، الجزء ١ ، أحداث سنة ٦٥٨هـ ،
وارجع الى المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤١٠ .

(٤٦) اليونينى ، المصدر السابق ، ص ٤٨٧ ، الجزء ١ .

(٤٧) نفسه ، الجزء ١ ص ٤٨٧ - عماد الدين اسماعيل أبو الفداء ،
المختصر فى أخبار البشر ، طبعة بيروت ، الجزء ٣ ، ص ١٩٤ .

(٤٨) المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٤٠٧ . وربما يكون الحيدرية من نسل حيدرة
من أبناء على بن أبى طالب ، وفى ذلك يقول القلقشندى « فمن
ولد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الحسن والحسين عليهما السلام ،
من فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعقبهما قد ملأ الشرق والغرب .
وقد ذكر الحمدانى أن منهم بصعيد مصر جماعة من الجعافرة بنى

جعفر الصادق من ولد الحسين بن علي . . وعد من بطونهم الحيادة
وهم اولاد حيدرة . . . » (القلقشندى ، صبح الاعشى الجزء ١ ،
ص ٣٥٩ ، طبعة تراثنا) ويذكر ابن الفرات في المجلد السابع ،
ص ٤٢ أن صاحب الابليستين هو ابو بكر حيدر بك ، وذكره كذلك
في ص ٦٥ في حوادث سنة ٦٧٥ هـ .

(٥٠) محمد بن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الجزء ١ ،
قسم ١ تحقيق د . محمد مصطفى ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٥١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ، ص ٤٤١ - فضل الله
بن ابي الفخر الصقاعي ، تالى كتاب وفيات الاعيان ، تحقيق
جاكلىن سوبلة ، دمشق ١٩٧٤ ، طبعة المعهد الفرنسى ص ٢ - ابن
تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، الجزء ٧ ، ص ١٠٩ - ابن اياس ،
بدائع الزهور الجزء ١ ، قسم ١ ، ص ٣١٣ . وأن كان ابن اياس
يرى أن دخول ابي القاسم احمد الذى بويغ بالخلافة فى القاهرة
ولقب بالمستنصر بالله وأصبح أول خلفاء العباسيين فى مصر حدث
فى عام ٦٦٠ هـ . ومن الثابت أن دخوله تم سنة ٦٥٩ هـ (ارجع
للمصادر السابقة ، وكذلك الى المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ص
٤٤٨ - محمد عبد العال احمد ، أضواء جديدة على احياء الخلافة
العباسية الاسكندرية ، ١٩٨٧ ص ٣٤) .

(٥٢) الامير ناصر الدين ابن مهنا ، يرجع هذا الامير الذى دخل مصر
مع ابي احمد المستنصر بالله أول الخلفاء العباسيين فى مصر ، الى
أهل عراقى فهو ينتمى اساسا الى آل ربيعة ، وآل ربيعة كما يذكر
القلقشندى فى صبح الاعشى ينقسمون الى ثلاثة أفخاذ ، الفخذ الاول
منهم آل فضل ، ومنهم آل عيسى وببيت مهنا بن عيسى وهم
المقصودون فى هذه الحاشية .

وكانت ديار آل فضل تمتد من حمص حتى قلعة جعبر الى المرحبة من ارض العراق آخذين على شقى الفرات وأطراف العراق ، حتى ينتهى حدهم قبلة بشرق الى الوشم آخذين يسارا الى البصرة (القلقشندى ، صبح الاعشى ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ، الجزء ٤ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥) . وترجع أولية هذا البيت الى أيام الاتابك زنكى . وقد تفرق آل ربيعة ، وتوجه فرع منهم الى الشام ومنهم مرى بن ربيعة أخو فضل بن ربيعة ، وتلقب مرى بأمير عرب الشام أيام طغتكين ، ومن فروعهم مهنا الذى من نسله الامير ناصر الدين بن مهنا المذكور بالحاشية (ارجع الى ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، الجزء ٥ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ترجمة الامير مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع من آل ربيعة رقم ٤٨٦٥) . ويذكر ابن كثير أنه ربما يرجع أصل آل مهنا الى نسل خالد بن برمك والعباسة أخت هارون الرشيد (ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٤ ، ص ١٧٢ ، عند ترجمته لاحد امراء هذه الاسرة ، وهو الامير مهنا بن عيسى بن مهنا) ولم يصرح لاحد من أفراد هذه الاسرة بأمره على العرب الا منذ أيام العادل ابى بكر أخى صلاح الدين ، وكانت فى عهد العادل لعيسى بن محمد بن ربيعة ، ومن بعده لمانع بن حديثه بن عقبة ثم لابنه مهنا الذى اشترك مع المظفر قطز فى قتال هولاكو ، ويبدأ ظهور أمرائهم بكثرة فى مصر زمن الظاهر بيبرس (ارجع الى القلقشندى ، صبح الاعشى ، الجزء ٤ ، ص ٢٠٥ - ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٥ ، ص ١٣٩) .

(٥٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء ١ ، قسم ١ ص ٣٢١ .

(٥٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٢٣١ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة الجزء ٧ ، ص ١٠٩ .

(٥٥) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ، ص ٥٠٠ (أحداث سنة ٦٦٠ هـ) .

(٥٦) بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل : - كان يلقب بالملك الرحيم ، توفى سنة ٦٥٧ هـ ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره . وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل فى طاعته وحول اليه الاموال ، ووصل الى هولاكو بعد استيلائه على بغداد . حكم بدر الدين لؤلؤ الموصل ، منذ ان كان القائم بأمور استاذة ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى . وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن ارسلان ، فلما توفى الملك القاهر بن ارسلان سنة ٦١٥ هـ ، انفرد بدر الدين لؤلؤ بحكم مملكته (أبو الفداء ، المختصر ، الجزء ٣ ، ص ١٩٨) .

(٥٧) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ، أحداث سنة ٦٥٩ هـ - أبو الفداء ، المختصر ، الجزء ٣ ، ص ٢١٣ - ابن الوردى ، تنمة المختصر ، الجزء ٢ ، ص ٣٠٣ ، المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٦٠ .

(٥٨) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ، ص ٤٥٣ ، ص ٤٨٣ ، الجزء ٢ ص ١٥١ .

(٥٩) بدر الدين بيليك الخزندار : - الامير بدر الدين ، عمل خازندارا قبل ان يتولى نيابة السلطنة ، وخازندار اسم يتركب من كلمتين ، الاولى عربية وهى خازن والثانية فارسية بمعنى متولى ، اى الذى يتولى الاشراف على حفظ ما يجلب الى البيوت السلطانية من مؤن وكسوات والانفاق منها على قدر الحاجة . وكان بمثابة مدير مخازن البيوت السلطانية . وقد ارتقت هذه الوظيفة زمن الناصر ، واصبح يقوم بها ثلاثة اشخاص ، خازندار الصنف ، وخازندار العين ، والخازندار الكبير (القلقشندى ، صبح الاعشى ، الجزء ٥ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، على ابراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، طبعة القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ص ١٧٢) .

وفي سنة ٦٥٨هـ خلع الظاهر بيبرس على بدر الدين بيليك ،
وأقره نائبا للسلطنة وأصبح صاحب الحل والعقد بالديار المصرية
(ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء ١ قسم ١ ، ص ٣١٠) .
وتوفى بدر الدين بيليك سنة ٦٧٦هـ بعد وفاة الظاهر بيبرس بقليل
وكان قد أخفى نبأ موت الظاهر بيبرس في الشام حتى
قدم مصر ، وأخذ البيعة لولده الملك السعيد ، وقيل انه مات
مسموما في الخامسة والاربعين من عمره ، وحزن عليه الناس
واقام عزاءه بالقاهرة ثلاثة أيام ، ودفن بترته بالقرافة الصغرى
(ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٧ ص ٢٧٦) . ومما يدل
على اكرام بيبرس لابناء صاحب الموصل ، انه زوج شقيقتهم من
شخصية كبيرة لها مكانتها مثل بدر الدين بيليك الخازندار . وعن
حياة بدر الدين قبل ان يباع لبيبرس (ارجع لابن اياس ، بدائع
الزهور ، الجزء ١ ، قسم ١ ص ٣١١) . وعن وفاته بالسم على
يد الامير شمس الدين الفارقانى وأم الملك السعيد (ارجع لابن
العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، القاهرة
١٣٥١هـ ، الجزء ٥ ، ص ٣٥١) . ولمزيد من التفاصيل عنه وعن
حياته (ارجع الى ابن كثير البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٢٣٣ ،
ص ٢٧٧ حيث أورد له ترجمة ، وكذلك ارجع للكتبى ، عيون
التواريخ ، الجزء ٢١ ، ص ٣٧ ص ١٣٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ حيث
أفرد له ترجمة ، وارجع كذلك للصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص
٥٢ ، ٥٣ ، وارجع ايضا الى ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٧ ،
ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩) .

(٦٠) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ص ١٠٦ - أبو الفداء ،
المختصر ، الجزء ٣ ، ص ٢١٣ ، ابن الوردى ، تنمة المختصر فى
اخبار البشر ، الجزء ٢ ص ٣٠٦ - المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ،
ص ٤٦٠ ، ص ٤٦١ .

(٦١) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٦٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٢٣٣ - المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٦٣ .

(٦٣) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ، ص ١٦٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٢٣٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، الجزء ٧ ، ص ٢٠٦ .

(٦٤) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ، ص ٤٩٥ .

ويذكر كل من ابن الوردى ، والصقاعى أن اولاد بدر الدين لؤلؤ عندما قدموا الى مصر سنة ٦٥٩هـ عاشوا فيها فى رغد طوال مدة الظاهر ، وطوال حياتهم الى أن ماتوا بها (انظر ابن الوردى ، تتمة المختصر ، الجزء ٢ ، ص ٣٠٦) وارجع كذلك الى (الصقاعى تالى كتاب وفيات الاعيان ، ص ١٠) . ونستخلص مما ذكره اليونينى ، والمقرئى أنهم كانوا قد رغبوا فى العودة الى بلادهم ، فسمح لهم بيبرس ، فخرجوا مع جيش المستنصر بالله العباسى سنة ٦٦٠هـ (اليونينى ، الذيل الجزء ٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، المقرئى السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٦٢) فلما استولى التتار على الموصل وقتلوا الملك الصالح عاد اخواه الى مصر فأحسن بيبرس اليهما ، واستقرا بمصر . وتصمت المصادر عن ذكرهما بعد ذلك (اليونينى ، الجزء ١ ص ٤٩٥) .

(٦٥) من العراقيين الذين عملوا نعالين بالقاهرة أبو الحسن بن محمد بن الانجب البغدادى النعال . وكان من الصوفية ، رابط برباط سعيد السعداء ، ولد سنة ٥٧٥هـ وتوفى فى ١٤ رجب من سنة ٦٥٩هـ ودفن بسفح المقطم (اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ص ٤٧١) .

- (٦٦) اليونيني ، الذيل ، ص ٤٥٧ .
- (٦٧) المصدر السابق ، الجزء ١ ، ص ٥٣٠ - ابن اياس ، بدائع الزهور
الجزء ١ ، قسم ١ ص ٣٢٠ .
- (٦٨) المقریزی ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٧٦ .
- (٦٩) المصدر السابق ، الجزء ١ ، ص ٤٦٨ . والامير سلار يرجع الى
اصل قبجاقي من قبيلة دوروت ، اشتراه الخليفة العباسي الظاهر ،
وترقى في خدمته حتى صار في عهده حاكما على واسط والكوفة
والحلة ، وظل كذلك حتى آخر عهد الخليفة العباسي المستعصم
سنة ٦٥٦هـ ، وحاول التصدي للتتار ولكنه فشل ، وامتنع عن الذهاب
لهولاكو رغم الوعود التي مناه بها ، ثم قدم الى مصر في عهد
بيبرس (ارجع الى المقریزی ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٤٦٨ ،
حاشية رقم ٣) .
- (٧٠) عرب خفاجة العراقيون : يذكر القلشندي ان خفاجة بفتح الخاء
المعجمة ، وفتح الفاء ، هم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل وفيهم
بالعراق حتى زمنه .
- وهم ينتسبون الى بنى عقيل الذين يرتفعون الى بنى عامر بن
صعصعة . وكان بنو عقيل يقيمون في اول الامر بالبحرين ، ثم
غلب عليهم بنو تغلب فطردوهم من البحرين الى العراق فملكوا
الكوفة والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل (القلشندي
صبح الاعشى ، الجزء ١ ص ٣٤١) . وقد تحدث ابن بطوطة عن
تبقي من عرب خفاجة في العراق ، جهة الكوفة ، عندما زارها ،
وذكر ان الخراب قد استولى على الكوفة بسبب ايدي العدوان التي
امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها ، فانهم
يقطعون طريقها ... » (ابن بطوطة ، الرحلة ، دار صادر
بيروت ، ص ٢١٩) .

- (٧١) المقریزی ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٥١٠ .
- (٧٢) المصدر السابق ، ص ٥١٢ .
- (٧٣) نفسه ، ص ٥١٦ .
- (٧٤) نفسه ، ص ٥١٠ .
- (٧٥) نفسه ، ص ٥١٥ .
- (٧٦) نفسه ، ص ٥٤٩ .
- (٧٧) نفسه ، ص ٥٥٤ .
- (٧٨) حلمی محمد سالم ، اقتصاد مصر الداخلى ، وانظمتہ فی العصر الممالیکى ، الاسکندرية ، ١٩٧٧ ، ص ٦٥ .
- (٧٩) عن هجرة ابناء الموصل من الکفتیین وصناع المعادن الى مصر ، ارجع الى سعاد ماهر ، الفنون الاسلامیة ، ص ٥٦ ، ١٥٠ - سعید الدیوة جی ، اعلام الصناع المواصله ، ص ٧٦ ، عبد العزیز حمید ، التحف المعدنیة ، من کتاب حضارة العراق ، بغداد ١٩٨٥ ، الجزء ٩ ، ص ٣٠٥ ، زکی حسن ، الفنون الاسلامیة ، ص ٥٤٤ .
- (٨٠) يذكر القلقشندى ان حکام الیمن من بنی رسول وملوکه « تستجلب من مصر والشام طوائف من ارباب الصناعات والبضائع ... » (القلقشندى ، صبح الاعشى الجزء ٥ ، ص ٣٦ ، وارجع الى حلمی سالم ، اقتصاد مصر ، ص ٦٧) .
- (٨١) الوشى السکندرى هو نسیج حریرى کان یحلى بخيوط الذهب ، وعرف باسم الحلل الموشیة ، والسقلاطون ، نسیج حریرى مطرز بالذهب ، اما المفرج السکندرى فنسیج رقیق مذهب كانت تصنع منه الطرح ، والشرب نسیج کتانى رقیق كانت تصنع منه القمصان الداخلیة ، والخمر والعمائم . والطرده وحش نسیج مجوخ جاخات بالقاب السلطان ، والاشکراط قماش قرمزى اللون .

(ارجع الى القلقشندي ، صبح الاعشى ، الجزء ٤ ، ص ٥٣ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، ١٩٦٩ ، ص ٥٢٦ ، ٥٢٧) .

(٨٢) حرص المماليك على كسوة الكعبة الى حد ان عسكر مصر قاتلوا عسكر ملك اليمن زمن السلطان المملوكي حسن بن محمد بن قلاوون ، لما علموا برغبته في كسوة الكعبة « واشيع ان المجاهد يريد كسوة الكعبة في تلك السنة ، فوقعت الفتنة بين العسكر المصري والمجاهد ، فانهزم المجاهد ، ونهبت عساكره وسائر اهل اليمن ... » (القلقشندي ، صبح الاعشى ، الجزء ٥ ، ص ٣٢) .

(٨٣) كان الورق البغدادي اجود انواع الورق واكبره سعة ، وكان مخصوصا لكتابة المصاحف ، ولايستعمل فيما عدا ذلك سوى في مكاتب كبار الملوك ، وقد اورد المقرئزي (السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٧) ما يشير الى ان بيبرس كتب رسالة للملك بركة خان سلطان المغول في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية . وعن الورق البغدادي والشامي ارجع للقلقشندي (صبح الاعشى ، ج ٢ ص ٤٧٦) والشامي دون البغدادي في الجودة ، وكان بين انواع الورق الشامي ما يعرف بالحموي (ارجع كذلك للقلقشندي ، صبح الاعشى ج ٦ ، ص ١٩٠) .

(٨٤) حلمي سالم ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٨٥) ابن سعيد الاندلسي ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، الخاص بمصر ، تحقيق د . زكي حسن ، د . شوقي ضيف ، د . سيدة كاشف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١١ .

(٨٦) كانت القلزم حتى عهد المستنصر بالله الفاطمي الميناء التجاري الاول لمصر ، ثم فقدت القلزم مركزها التجاري بعد استيلاء الصليبيين

على ايلة (٥١٠ هـ) (١١١٦ م) وعندما خربوا الفرما (٥٤٦ هـ)
!(١١٥١ م) ، وانتقل النشاط التجارى لذلك الى موانى مصر على
البحر الاحمر مثل عيذاب والقصير .

(٨٧) على ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(٨٨) عبد الرحمن زكى ، العلم والعلماء فى دولة المماليك البحرية ،
مجلة معهد الدراسات الاسلاميه بمدير ، ١٩٧٠ م ، المجلد ١٥ ،
ص ١١٩ وما يليها .

(٨٩) حسين عليوه ، مقال عن المعادن بكتاب القاهرة آثارها وفنونها ،
ص ٣٧٧ .

(٩٠) زكى حسن ، الفنون الاسلاميه ، ص ٤٧٤ .

(٩١) حسين عليوه ، المعادن ، ص ٣٧٨ .

(٩٢) زكى حسن ، الفنون الاسلاميه ، ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(٩٣) ديمانند ، الفنون الاسلاميه ، ص ١٥١ ، وعن الطرق المتبعة فى
الموصل فى انتاج التحف المعدنية الترصيع باى مادة مخالفة عن
المادة التى صنعت منها التحفة المعدنية ، وطريقة الضغط ، وطريقة
تجمع بين الترصيع والضغط ، وطريقة أخيرة وهى التكفيت او الترصيع
بالذهب والفضة فقط . ارجع الى (سعيد الديوه جى ص ٨ ، الموصل فى
العهد الاتابكى ، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٥٢ ، ٥٣ ارجع كذلك الى
كتاب حضارة العراق ، ج ٩ لمجموعة من الباحثين ص ٢٨٩) .

(٩٤) D.S. Rice, Inlaid Brasses From the Workshop of Ahmed Al
Dhaki Al Mawsili, Ar Orientalis, 1957, Vol 2, p 383.

صلاح حسين العبيدى ، التحف المعدنية الموصلية فى العصر
العباسى ، بغداد ١٩٧٠ م ، حضارة العراق ، ج ٩ ، ص ٢٨٩ .

Rice , op. cit., p. 284.

(٩٥)

(٩٦) حضارة العراق ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ ، وعن تفاصيل صناعة التحف

المكففة في الموصل وأنواع زخارفها ، انظر نفس المرجع ، ص ٢٩٠
- ٢٩٥ .

(٩٧) سعيد الديوه جى ، اعلام الصنائع المواصلات ، ص ٨٧ .

(٩٨) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٩٩) نفسه ، ص ٨٥ .

(١٠٠) نفسه ، ص ٩٠ .

(١٠١) نفسه ، ص ٩٣ .

(١٠٢) نفسه ، ص ٧٩ .

(١٠٣) نفسه ، ص ١٠٦ .

(١٠٤) ديمانند ، الفنون الاسلامية ، ص ١٥٤ ، سعاد ماهر ، الفنون
الاسلامية ص ١٥٠ ، نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط في
العصور الاسلامية ص ١٣٩ ، حسين عليوة ، المعادن ، ص ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، وعن هجرة احد المواصلات الكفتيين من الموصل الى الشام ،
ارجع الى ابن حجر العسقلاني ، الدر الكامنة ، طبعة ١٩٦٦ ، ج ٥
ص ٢٠٨ ترجمة ٥٠٦٤ .

(١٠٥) حسين عليوة ، المعادن ، ص ٣٧٨ وعن سوق الكفتيين وموقعه
من القاهرة ارجع الى المقرئى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والاثر ، المجلد الثانى القسم الاول ، طبعة لبنان ، ص ١٩٤ .
وارجع كذلك الى سعيد الديوه جى ، اعلام الصنائع المواصلات ، ص
٧٦ .

(١٠٦) حسين عليوة ، المعادن ، ص ٣٧٦ ، سعيد ديوه جى ، اعلام
الصنائع المواصلات ، ص ١٠٦ .

(١٠٧) سعيد ديوه جى ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

(١٠٨) نفسه ، ص ٨٨ ، وارجع كذلك الى صلاح العبيدي ، التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي طبعة بغداد ١٩٧٠ م .

(١٠٩) Rico, Inlaid Brasses. p 287. - سعيد الديوه جي ، اعلام الصناعات المواصلات ص ٨٩ .

(١١٠) نفس المرجع ، ص ٨٩ .

(١١١) نفسه ، ص ١١١ ، حسين عليوه ، دراسة لبعض الصناعات والفنانين بمصر في عصر المماليك مجلة كلية الاداب جامعة المنصورة ١٩٧٩ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١١٢) حسين عليوه ، مقال بعنوان محمد بن سنقر ، في كتاب القاهرة آثارها وفنونها ، ص ١١٠ ، ومقال آخر لنفس المؤلف د . حسين عليوه ، دراسة لبعض الصناعات والفنانين بمصر ص ١٠٣ . وكان لوجود تنظيمات للصناعات او نقابات بمصر في العصر المملوكي منذ القرن السابع الهجري ، اكبر الاثر في دفع الفنون الصناعية خطوات الى الامام .

وكان تكوين النقابات يتشابه الى حد كبير في كل البلاد الاسلامية ، وكان شيخ الطائفة هو رئيسها ، وكان يجيز المبتدئين منهم الى رتبة صانع ، ويرفع الصانع الماهر الذي قضى فترة طويلة في حرفته الى درجة الاستاذ بعد اجتيازه اختبارا كان يقدم فيه عملا نموذجيا من صنع يديه . ومن تقاليد نقابات الصناعات في القرن السابع وماتلاه الحفاظ على اسرار الحرف وقصرها على افراد الاسرة الواحدة ولذلك شاع تخصص افراد الاسرة الواحدة في حرفة ما او صناعة معينة . ومن امثلة ذلك في مجال الصناعات المعدنية المعلم سنقر البغدادي وولداه محمد ومحمود من الكفتيين (حسين عليوه ، دراسة لبعض الصناعات والفنانين ص ٨٩ ، ٩٠ ، وارجع الى برنارد لويس ، النقابات الاسلامية ، ترجمة عبد العزيز الدوري ، مجلة

الرسالة ، العدد ٣٥٥ سنة ١٩٤٠م ، ص ٦٩٧ ، العدد ٣٥٦ سنة ١٩٤٠ ، ص ٧٣٦ - ٧٣٧ وارجع كذلك الى مقال د . حسين عليوه ، محمد بن سنقر ، ص ١٣٠) .

(١١٣) حسين عليوه ، مقال بعنوان كرسى الناصر ، من كتاب القاهرة ، فنونها وآثارها ، ص ٥٣٥ - سعيد الديوه جى ، اعلام الصنائع ، ص ١١٢ .

(١١٤) حسين عليوه ، كرسى الناصر ، ص ٥٣٤ . ويرجح د . حسين عليوه ان استعمال ابن سنقر البغدادي لـ زخارف البط على كرسى الناصر كان رمزا لاسرة قلاوون حيث ان كلمة قلاوون فى اللغة التركية تعنى البط ، وكذلك فى اللغة المغولية التى كانت متداولة بين المماليك المجلوبين من اواسط آسيا .

(١١٥) حسين عليوه ، المعادن ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(١١٦) حسين عليوه ، محمد بن سنقر ، ص ١٣٠ .

(١١٧) سعيد الديوه جى ، اعلام الصنائع المواصله ص ٨٦ .

(١١٨) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(١١٩) نفسه ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ويذكر د . سعيد ديوه جى ان للصانع محمد بن الحسن الموصلى بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة منارة نحاسية محلاة بالذهب والفضة وعليها كتابات بالقلم الكوفى وصور آدميين وصنوف من الحيوانات صنعها سنة ٦٦٨هـ، وكتب عليها اسمه (سعيد الديوه جى ، الموصل فى العهد الاتابكى ، ص ٥٦) .

(١٢٠) سعاد ماهر ، الفنون الاسلامية ، ص ١٥٠ - سعيد الديوه جى ، الموصل فى العهد الاتابكى ، ص ٥٩ .

(١٢١) حضارة العراق ، ج ٩ ، ص ٣٠٦ .

(١٢٢) حسين عليوه ، محمد بن سنقر ، ص ١٣١ . وقد تميز الاسلوب الزخرفى للصانع ابن سنقر بكثرة استخدام الزخارف الكتابية وبطول القوائم في كتاباته الكوفية وتشكيل نهاياتها بهيئة نصف نخيلية مدببة الطرف ، وربما يرجع ارتفاع قوائم الخط الكوفى الى تأثير الصانع بكتابات الخط الثلث ، التى كان لها الغلبة فى عصره ، فاحدى مميزات الخط الثلث القوائم الطويلة ، وذلك فى العصر المملوكى بدءا من القرن السابع الهجرى . كذلك انفرد اسلوب ابن سنقر بتنفيذ الكتابات الكوفية المورقة والمضفرة بأسلوب دائرى مشع على قرصة كرسى العشاء وهو أسلوب جديد تماما قلده فيه صناع المعادن المعاصرون واللاحقون .

(١٢٣) هو جمال الدين ياقوت المستعصى ، وصف بقبلة الكتاب ، وكان من مماليك الخليفة العباسى الاخير ، المستعصم بالله ، ونسب اليه . وكان يكنى أيضا بابى الدر . واصل ياقوت رومى ، ونشأ فى بغداد وهو آخر من انتهت اليه رئاسة الخط المنسوب ، وتعلم عنه الكثيرون . توفى ببغداد سنة ٦٩٨ هـ ، وله مؤلفان هما اخبار وأشعار وملح وحكم ووصايا منتخبة ، وطبع فى الاستانة سنة ١٣٠٢ هـ وكتاب أسرار الحكماء ، طبع فى الاستانة ، اورد ابن العماد بعض أبيات من شعره . ولقد خلط البعض ومنهم ابن العماد بين ياقوت المستعصى وبين ياقوت بن عبد الله الملكى . وكان ياقوت الملكى خطاطا على طريقة ابن البواب أيضا . وتوفى ياقوت الملكى سنة ٦١٨ هـ قبل ياقوت المستعصى بثمانين عاما .

(ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٤٣ ، أحداث سنة ٦٩٨ هـ - وانظر . د سهيل أنور ، الخطاط البغدادي على بن هلال المشهور بابن البواب ، من مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، سنة ١٩٥٨ ، ترجمة محمد بهجة الاثرى وعزيز سامى ، ص ٨٢ ، ٨٣ - اسامة ناصر النقشبندى ، الخط والكتابة ، مقال بكتاب حضارة

العراق ، ج ٩ ، ص ٤٥٧ - عباس العزاوي ، خط المصحف الشريف ،
مقال بمجلة سומר ، مجلد ٢٣ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٥٣ - حسين
عليوه ، مقال عن الخط بكتاب القاهرة ، آثارها وفنونها ، ص ٢٧٨)

(١٢٤) هو ابو الحسن علي بن هلال الشهير باسم « علاء الدين بن
البواب » وكان والده بوابا عند آل بويه ، وهو بغدادى الاصل .
وعد ابو الحسن على من اكبر كتاب الخط بعد ابن مقلة لانه استطاع
ان يقلب الخط الكوفى على نحو يسترعى النظر ، واستنبط منه
الخط الثلث والنسخ ، وقد كتب أربعة وستين مصحفا . توفى ابن
البواب سنة ٤١٣هـ في بغداد ، واستمر الخطاطون على نهجه في مصر
حتى القرن الخامس عشر .

ومن تلاميذه ياقوت المستعصى (سهيل أنور ، الخطاط البغدادى ،
ابن البواب ، ص ٥ - ٧ - حسين عليوه ، الخط ، ص ٢٧٨) .

(١٢٥) الوزير ابو علي بن مقلسة المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، هو اول من
هندس الحروف وقدر مقاييسها وابعادها بالنقاط ، وكان ابن مقلة
الى جانب انه خطاط ، شاعرا واديبا . عمل وزيرا لثلاثة من
الخلفاء العباسيين ، المقتدر بالله العباسى سنة ٣١٦هـ ، والقاهر بالله
سنة ٣٢٠هـ ، والراضى بالله سنة ٣٢٢هـ ، وتوفى ابن مقلة بعد ان
نقم عليه الخليفة الراضى وقطع يده ثم سجن وتوفى في سجنه .
ومن تلاميذه ابن البواب الذى تعلم على طريقته ومن بعده
المستعصى (اسامة النقشبندى ، الخط والكتابة ، حضارة العراق
ج ٩ ص ٤٥٦) وعن خزانة الخليفة الفاطمى ومابها من كتب بخط
ابن مقلة وابن البواب ارجع الى القلقشندي ، صبح الاعشى ،
القاهرة ١٩١٣ ، ج ٣ ص ٤٧١ ، ٤٧٢) .

(١٢٦) اسامة النقشبندى ، المرجع السابق ص ٤٥٧ .

(١٢٧) نفسه ، ص ٤٥٧ - عباس العزاوى ، الخط ومشاهير الخطاطين
فى الوطن العربى ، مجلة سومر ، مجلد ٣٨ سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٨٦ .

(١٢٨) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، المجلد الاول ، الطبعة الثالثة
بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٧٥٠ .

(١٢٩) عباس العزاوى ، الخط ومشاهير الخطاطين ، ص ٢٨٦ .

(١٣٠) حسين عليوه ، الخط ، ص ٢٧٩ .

(١٣١) عباس العزاوى ، الخط ومشاهير الخطاطين ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩

(١٣٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٧٣ - ٧٥ .

(١٣٣) عباس العزاوى ، الخط ومشاهير الخطاطين ص ٢٨٧ .

(١٣٤) المرجع السابق ص ٢٨٨ ، مجلة المجمع العلمى بدمشق ج ٣ ص
٣٦٦ .

(١٣٥) ابن حجر ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٧٥ .

(١٣٦) المصدر السابق ج ٥ ص ٤٣ ، ترجمة ٤٦٢٠ .

(١٣٧) نفسه ج ٣ ، ص ٢٩٤ ترجمة ٣١٣٥ .

(١٣٨) نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ترجمة ٤٤٨٥ .

(١٣٩) نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣ ترجمة ٢٤٨٦ .

(١٤٠) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٤٦٢ .

(١٤١) ابن حجر ، الدرر ، ج ٥ ص ٦٧ ترجمة ٤٦٩١ .

(١٤٢) المصدر السابق ، ج ٢ ترجمة رقم ٢٣٩٨ .

(١٤٣) نفسه ، ج ٣ ص ٣٦٦ ترجمة ٣٢٦٤ - وعن ابن الاكفانى ارجع

الى عبد الرحمن زكى ، العلم والعلماء فى دولة المماليك البحرية
المصرية ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدير ، المجلد ١٥ سنة
١٩٧٠ ، ص ١٢٧ .

(١٤٤) عيسى سلمان ، مخطوطتان مزوقتان من القاهرة ، مقال بمجلة
سومر ١٩٧٥ ، المجلد ٣١ ص ١٩٢ .

(١٤٥) ارجع للأراء المختلفة التى دارت بشأن هذه المخطوطة فى المرجع
السابق ص ١٩٢ وما تلاها .

(١٤٦) حسين عليوه ، محمد بن سنقر ، ص ١٣٠ ، سعيد الديوه جى ،
اعلام الصناع المواصلة ص ١١٤ ، سعيد الديوه جى ، الموصل فى
العهد الاتابكى ص ٥٦ .

(١٤٧) حسن الباشا ، الدواة والمقلمة ، مقال بكتاب القاهرة ، تاريخها
فنونها ، ص ٥٩٩ .

(١٤٨) اسامة النقشبندى ، الورق والكاغذ ، مقال بكتاب حضارة العراق ،
ج ٩ ، ص ٤٤٢ .

(١٤٩) المقرئى ، السلوك ج ١ ص ٤٩٧ - القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٢
ص ٤٧٦ ، ج ٦ ص ١٩٠ .

(١٥٠) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٠ ، ترجمة ٢٤٩٧ .

(١٥١) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٥٥ ترجمة ٤٤٨٥ . ولقد اشتق من لفظ
الدواة اسم الدوا دار أو الدوا تدار صاحب الوظيفة وهى كلمة تتكون
من مقطعين الاول عربى الاصل وهو دواة والثانى دار كلمة فارسية
بمعنى ممسك أو حامل أى الموكل بحمل الدواة للسلطان . وقد
عرفت هذه الوظيفة فى الدول الاسلامية فى العصر العباسى مثل دولة

الغزنويين والسلاجقة. واتبكية خوارزمشاه. : وانتقلت عن طريق
الاتبكة والايوبيين الى مصر والشام . وكان للسلطان المملوكى فى
مصر اكثر من عشرة موظفين يحملون لقب دوادار اعلاهم الذى
يسمى «دوادار أمير» ، وكان من مهام الدوادار الى جانب حمل
دواة السلطان ، استقبال الزوار والاستئذان لهم لدى السلطان ، كما
كان يشترك مع الوزير فى نظر الضيافة والاسواق . وكان شعار
الدوادار المقلمة (ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج٧. ص ١٨٥
- على ابراهيم حسن تاريخ الممالك البحرية ، ص ١٨٦ - حسن
الباشا ، الدواة والمقلمة ص ٦٠٠) .

(١٥٢) المقرئى ، الخطط ، ج١ ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٠ .

(١٥٣) عبد الرحمن فهمى. ، النسيج ، مقال بكتاب القاهرة ، تاريخها
وفنونها ص ٣٩٢ .

(١٥٤) سعيد الديوه جى ، اعلام الصناع المواصله ص ٣٥ .

(١٥٥) المرجع السابق ، ص ٤٠ - سعيد الديوه جى ، الموصل فى العهد
الاتبكى ص ٤٨ .

(١٥٦) سعيد الديوه جى ، الموصل فى العهد الاتبكى ، ص ٤٩ .

(١٥٧) المرجع السابق ص ٤٧ . ومن الجدير بالذكر ان حائكا موصليا
هاجر الى مصر فى اوائل القرن الثامن الهجرى ، وهو محمد بن
أحمد بن يوسف الموصلى الملقب بشنير ، ويذكر المقرئى انه كان
يقترح على الخياطين بمصر فنونا يتكسب هو منها وله ازياء وفصالات
مبتكرة ، كان الخياطون يرجعون اليه فيها (سعيد الديوه جى ،
اعلام الصناع المواصله ص ٦٦) . وارجع كذلك الى فريال داوود
مختار ، المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح العربى حتى

سقوط الخلافة العباسية ببغداد ، رسالة ماجستير ، ص ١٨٢ -
١٨٥ - سعيد الديوه جى ، مقال عن صناعة الموصل بمجلة سومر
سنة ١٩٥١ ، ص ٩٣ ، ٩٥) .

(١٥٨) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير ،
بغداد ، ١٩٧٣ ص ٣٥٥ - ٣٦١ .

(١٥٩) المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(١٦٠) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(١٦١) Benjamin de Tudela, Viajes de Benjamin De Tudela, Madrid, 1918, P. 115/

(١٦٢) ابن مماتى ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق د. عزيز
سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ ص ٢٥٧ .

(١٦٣) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص ٣٩ ، ٤٠ - وعن الرسوم
والضرائب (ارجع لابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ٣١٥ - ٣٢٦)

(١٦٤) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها
الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين السادس والسابع الهجرى ،
مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ١٩٥٤ ، ١٠٨ ،
١٠٩ .

(١٦٥) الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ١٣٧ .

(١٦٦) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ص ٢٠ ترجمة ٤٥٥٤ .

(١٦٧) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠ .

(١٦٨) ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة بيروت ص ٢٨ - السيد عبد العزيز
سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية
١٩٨٢ ، ص ٥٢٠ .

- (١٦٩) ابن حجر ، الدرر ، ج٥ ص ٢٠ .
- (١٧٠) المصدر السابق ، ج٤ ص ١٤٣ ترجمة ٣٩٣٤ .
- (١٧١) نفسه ، ج٤ ص ٥٠ ترجمة ٣٦٧٠ .
- (١٧٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، القاهرة ١١٥١ هـ ، ج٦ ، ص ٣١٤
- (١٧٣) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ص ٤٧٨ . Répertoire
Chronologique d'Epigraphie Arabe, t 12, Le Caire 1936 p. 248.
- (١٧٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٨ .
- (١٧٥) ابن حجر ، الدرر ، ص ٢٠ ترجمة ٢٤٩٦ .
- (١٧٦) ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل) زبدة كشف الممالك
وبيان الطرق والمسالك ، نشر بول رافيس ، باريس ١٨٩٤ ص ٤١ .
- (١٧٧) هو راى د . عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ص ٤٧٨ .
- (١٧٨) ابن حجر ، الدرر، ج٣ ، ص ٣١٧ ترجمة ٣٣٩٨ .
- (١٧٩) المصدر السابق ، ج٣ ص ٤٠٤ ترجمة ٣٣٦٥ .
- (١٨٠) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج٢ ص ٣٤٨ - ابن تغرى بردى ،
النجوم الزاهرة ، ج٧ ص ٢٢١ . والميناوين موضع بالاسكندرية بين
الميناء الشرقية والميناء الغربية كان يعرف بشبه جزيرة المنار .
- (١٨١) ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، ج٣ ص ٣٣ ترجمة ٢٥٢٨ .
- (١٨٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٣ ، في وفيات سنة ٦٧٠ هـ .
- (١٨٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ج٢ ص ٤٨٧ .
- (١٨٤) ابن حجر ، الدرر ، ج٤ ، ص ١٨٨ ترجمة ٤٠٦٨ .
- (١٨٥) ابن الفرات ، المجلد الثامن ، ص ٥٨ - ابن كثير ، البداية
والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٣١٠ .

- (١٨٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٣٦ .
- (١٨٧) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٢٠ ترجمة ٢٤٩٧ .
- (١٨٨) المصدر السابق ، الجزء ٤ ، ص ٣٥٥ ترجمة ٤٤٨٥ .
- (١٨٩) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ١ ص ٤٧١ .
- (١٩٠) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٢٠ .
- (١٩١) المنذرى (زكى الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوى)
التكملة لوفيات النقلة ، المجلد الرابع ، طبعة بغداد ١٩٧١ ، ص
١٢٦ ، ترجمة ١٣٦٣ .
- (١٩٢) المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص ١٧٦ .
- (١٩٣) نفسه ، ص ٢٠٦ ترجمة ١٤٤٧ .
- (١٩٤) ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد) وفيات
الاعيان وانباء ابناء الزمان تحقيق د . احسان عباس ، طبعة
بيروت ، مجلد ١ ، ص ٢٤ - المنذرى ، التكملة ، المجلد ٤ ص
٢٤٠ . وكانت المقبرة التى تقع فى سفح جبل المقطم تعرف بمقبرة
الصوفية (انظر المنذرى ، التكملة ، المجلد الرابع ، ص ١٤٧ ،
والحقه بها القرافة فأصبحت على حد وصف القلقشندي « تربة
عظيمة ممتدة فى سفح المقطم ، موقعها بين المقطم والفسطاط وبعض
القاهرة ، تمتد من قلعة الجبل الى بركة الحبش . وكان أول من
قبر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المعافر اسمه عامر فقييل
عمرت ، وبها الجوامع والمساجد والزوايا والربط والخوانق ، وهى
فى الحقيقة مدينة عظيمة الا انها قليلة السكان » (القلقشندي ،
صبح الاعشى ، الجزء ٣ ، ص ٣٧٤) .

- (١٩٥) ابن خلكان ، الوفيات ، مجلد ١ ، ص ١٨٤ .

- (١٩٦) السيوطى (جلال الدين) حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة، مطبعة باب الخلق ، ص ٢٣٧ . وسيرد ذكر ابنه الفقيه احمد فى وفيات سنة ٦٩٦هـ (ابن العماد ، الشذرات ، الجزء ٥ ، ص ٤٣٤)
- (١٩٧) ، اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ، ص ٤٠٣ .
- (١٩٨) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ص ١٧٩ - وعن المدرسة الكاملية، يذكر السيوطى أنه ليس بمصر دار حديث غيرها هى ودار الحديث بالشيخونية . وهى ثانى دار للحديث أنشأت فى مصر والشام ، والدار الاولى أقامها العادل نور الدين محمود بن زنكى فى دمشق ثم بنى الكامل هذه الدار وكملت عمارتها سنة ٦٢١ ، وممن تولوها الشيخ عبد اللطيف الحرانى (السيوطى ، المصدر السابق ، ص ١٥٩) .
- (١٩٩) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٦٢ - الكتبى ، عيون التواريخ الجزء ٢١ ، وفيات سنة ٦٧٤هـ .
- (٢٠٠) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٧٩ .
- (٢٠١) المقرئى ، الخطط ، الجزء ٢ ، ص ٣٦٩ - ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٧ ، ص ٢٦٢ .
- (٢٠٢) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٤ ، ص ١٠ وعن تاريخ وفاته ارجع الى ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٣٨
- (٢٠٣) ابن الفرات ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
- (٢٠٤) نفسه ، المجلد الثامن ، ص ١٦ .
- (٢٠٥) عن ابى الحرانى ، ارجع الى اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٤ ، ص ٣٢٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٢ ، ص ٣١٠ ، الكتبى ، عيون التواريخ ، الجزء ٢١ ، ص ٤٠٦ ، ابن الفرات ، المجلد الثامن ، ص ٥٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٧ ص ٣٧٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٩٦ .

أما علم الدين البرزالي فواضح من نسبه أنه ينتمي إلى بنى
برزال البربر الذين أسسوا لهم دويلة في الأندلس في عصر دويلات
الطوائف . (عن بنى برزال أرجع إلى : حمدى عبد المنعم محمد
حسين ، دولة بنى برزال فى قرمونة ، الاسكندرية ، ١٩٩٠) .

(٢٠٦) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٤ ، ص ٢٩١ ، السيوطى ، حسن
المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ١٨٥ .

(٢٠٧) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٤٠١ .

(٢٠٨) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٥ ، ص ١٤٩ .

(٢٠٩) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٠) ابن الفرات ، المجلد الثامن ، وفيات سنة ٦٩٥ هـ .

(٢١١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٤٣٤ .

(٢١٢) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ١٨٥ .

(٢١٣) ابن حجر ، الدرر ، ص ٢٦٥ .

(٢١٤) المصدر السابق ، الجزء ٣ ، ص ١٣٤ .

(٢١٥) نفسه ، الجزء ٥ ، ص ٨٢ ، ترجمة ٤٧١٠ .

(٢١٦) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ١٨٢ - ابن العماد ،

شذرات الذهب ، الجزء ٦ ، ص ٢٤ ، وقد ذكرها ابن حجر فى
الدرر الجزء ٣ ، ص ٣٠٧ على أنها فاطمة بنت عياش وليس
عباس . ولم تكن فاطمة السيدة العراقية الوحيدة التى هاجرت
إلى مصر وعاشت بها ولكن الأمثلة عديدة ، فمنهن الست خاتون بنت
الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل ، زوجة الملك المنصور بن
الملك الصالح التى أقامت بمصر وباعت كل أملاكها ولم يبق لها
سوى دار سميت بدار السعادة ، وتوفيت بمصر سنة ٦٩٤ هـ .

(٢١٧) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٦ ، ص ٣٥ .

- (٢١٨) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٥ ، ص ١٩ ترجمة ٤٥٥٢ .
- (٢١٩) المصدر السابق ، الجزء ٢ ، ص ٣٤٤ ترجمة ٢٠٩٩ .
- (٢٢٠) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٦ ، ص ٥٢ .
- (٢٢١) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٥ ، ص ٣١ .
- (٢٢٢) المصدر السابق ، الجزء ٢ ، ص ٤٨٦ .
- (٢٢٣) بدرى محمد فهد ، تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير ، ص ٣٩٣ . والعيارون والشطار ، جماعة من باعة الاسواق والفقراء ظهوروا منذ القرن الثانى الهجرى ببغداد ثم انضم اليهم افراد من مختلف فئات المجتمع ، وكان غرضهم توزيع الثروة بين الناس ، وتجلت حركتهم ضد الاغنياء ورجال الحكومة ، وهم يشبهون العيار والحرافيش فى المجتمع المصرى فى العصرين الايوبى والمملوكى (المرجع السابق ، ص ٣٩٣ حاشية ٣) ولزيد من التفاصيل عن العيارين ، انظر : محمد أحمد عبد المولى ، العيارون والشطار البغاددة فى التاريخ العباسى ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، الفصل الاول ص ١١ - ٣٨) .
- (٢٢٤) بدرى محمد فهد ، المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .
- (٢٢٥) نفسه ، ص ٣٩٥ .
- (٢٢٦) هو محيى الدين ابو العباس احمد بن على الرفاعى ، من واسط ، شافعى المذهب ، يرجع بأصله الى العلويين ، كان من اعظم فقهاء ومتصوفى العراق ، تتلمذ عليه عدد كبير من الصوفية وعرفوا لذلك بالرفاعية ، وذكروا ان له كرامات عديدة كان أشهرها الكرامة التى الف فيها السيوطى كتابا ، وجاء فيها ان النبى مد له يده من القبر . ومن مؤلفات الرفاعى كتاب عنوانه « اهل الحقيقة مع الله » . توفى سنة ٥٧٨هـ ولم يعقب ، فخلفه فى طريقته اخوة

- وأولاده (النبھانی ، جامع کرامات الاولیاء ، نشر ابراھیم عطوة ١٩٦٢ ، الجزء ١ ، ص ٤٩٣) ولمزيد من التفاصيل ارجع الى مقدمة كتاب الرفاعی ، حالة اهل الحقيقة مع الله ، نشر محمد نجيب ، مكتبة ربيع ، حلب ١٩٦٢ ، الى ص ١٣٢ وما تلاها ، بدری محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٤٠٢ - ٤٠٧) .
- (٢٢٧) هو الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجیلانی ، وصف بأنه شيخ عصره ، وينتسب الى علی بن أبي طالب . ولد سنة ٤٩١هـ بجیلان ، ثم جاء الى بغداد شابا وأقام فيها حتى وفاته سنة ٥٦١هـ . صنف كتابا اسماء « فتوح الغيب » ، وكتابا آخر عنوانه « الغنية لطالبي طريق الحق » (ولمزيد من التفاصيل ارجع لبدری محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٣٣٩ - ٤٠٢) .
- (٢٢٨) هو أبو حفص عمر بن محمد السهروردي ، ولد ببغداد سنة ٥٣٩هـ ، وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ، وكان فقيها على المذهب الشافعي ، وأخذ التصوف عن أبي النجيب السهروردي ، وعن الشيخ عبد القادر الجیلانی ، وصنف مؤلفات عديدة منها « عوارف المعارف » وهو أشهرها ، وهو صاحب المبالغة في فكرة الاتكال على الله كقعود الصوفي عن العمل والكسب بحجة اتكاله على ما يبعثه الله من رزق لانقطاعه للعبادة (ارجع الى السهروردي ، عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٦ ، ١٥٤) .
- (٢٢٩) بدری محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ٤١١ .
- (٢٣٠) المرجع السابق ، ص ٤١٢ .
- (٢٣١) نفسه ، ص ٤١٢ .
- (٢٣٢) نفسه ، ص ٤١٢ .
- (٢٣٣) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٤٧٥ ، وارجع

الى المحاضرة التى القاها د. السيد عبد العزيز سالم بجمعية الاثار
بالاسكندرية عن مدينة مرسية موطن ابي العباس المرسى - جمال
الدين الشيال ، اعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، القاهرة
١٩٦٥ ، ص ١٩٢ - ٢١٢ .

(٢٣٤) رأينا على الصفحات السابقة التجار العراقيين بالاسكندرية ، ولم
تكن الاسكندرية مركز جذب تجارى فحسب ، بل ان كثيرا من علماء
العراق وفقهائه استوطنوا هذه المدينة ومنهم الفقيه شمس الدين
محمد بن عبد الله البغدادي الشافعى ، الذى توفى بالاسكندرية
سنة ٦٧١ هـ . (السيوطى ، حسن المحاضرة الجزء ١ ، ص ١٧٩ -
ابن العماد شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٦٤) والفقيه لأولؤ
بن سنقر الحرانى ، ابو يوسف ، الذى سمع من ابن عبد
الدائم وابن ابي اليسر ، ومات بالاسكندرية سنة ٧٠٣ هـ (ابن
حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٢٥٩ ترجمة ٣٢٣٧) ، وعلى بن
احمد الحسينى العراقى ، محدث الاسكندرية ، الذى توفى سنة
٧٠٤ هـ . (السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ١٨١)
ومحمد بن ابراهيم بن ابي بكر السنجارى ثم الاسكندرانى ، سمع
من زينب بنت شكر وتوفى بالاسكندرية سنة ٧٥٩ هـ (ابن حجر ،
الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٣٨٨ ترجمة ٣٣٢٤) .

(٢٣٥) المنذرى ، التكملة لوفيات النقلة ، المجلد الرابع ، ص ٦ ترجمة
١٢٢٩ .

(٢٣٦) المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢٣٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء ١ ، القسم الاول ، ص ٢٧٦
وعن دفنه بالقرافة الصغرى بسفح المقطم ارجع الى (السيوطى ،
حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٤٧) .

(٢٣٨) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ، ص ٤٨ ، وارجع الى الصقاعى ، تالى كتاب وفيات الاعيان ، ص ٢١ ، لمراجعة الاختلاف فى الاسم .

(٢٣٩) الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، الجزء ١ ، القاهرة ١٣٤٣ ، ص ١٤٣ ، ١٥٨ .

(٢٤٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

(٢٤١) التقي الفاسى ، تاريخ علماء بغداد ، نشر عباس العزاوى ، بغداد ، ١٩٣٨ ص ١٩٤ .

(٢٤٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٣١٢ ، الجزء ١٤ ، ص ١٧٨ - ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٩٩ .

(٢٤٣) الكتبى ، عيون التواريخ ، الجزء ٢١ ، ص ٤٢٠ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة الجزء ٧ ، ص ٣٧٤ .

(٢٤٤) ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ (الحاشية) .

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٢٤٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٣ ، ص ٣١٢ - السيوطى حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٤٩ - وارجع كذلك الى ابن الوردى ، تنمة المختصر ، ص ٣٣٤ ، المقرئى ، السلوك الجزء ١ قسم ٣ ، ص ٧٤٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء ١ ، قسم ١ ، ص ٣٥٧ .

(٢٤٧) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٥ ، ص ١٩ ترجمة ٤٥٥٢ .

- (٢٤٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ١٤ ، ص ١٤١ .
- (٢٤٩) المنذرى ، التكملة ، المجلد الرابع ، ص ١٧٦ .
- (٢٥٠) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .
- (٢٥١) نفسه ، الجزء ٤ ، ص ٢٤٥ ، ترجمة ١٤٩٣ .
- (٢٥٢) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٥٩ .
- (٢٥٣) المصدر السابق ، الجزء ١ ، ص ١٩٣ .
- (٢٥٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٢٠ .
- (٢٥٥) اليونينى ، الذيل ، الجزء ٢ ، ص ٣٩٢ .
- (٢٥٦) المصدر السابق ، الجزء ٢ ، ص ٤٨ - الصقاعى ، تالى وفيات الاعيان ، ص ٢١ المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ، ص ٦٠٤ - ابن تغرى بردى ، النجوم ، الجزء ٧ ، ص ٢٣٦ .
- (٢٥٧) الكتبى ، عيون التواريخ ، الجزء ٢١ ، ص ٢٠٢ ، المقرئى ، السلوك ، الجزء ١ ص ٦٥١ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ١٩٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٥ ، ص ٣٥٧ .
- (٢٥٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، قسم ١ ، الجزء ١ ، ص ٤١٥ .
- (٢٥٩) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٦ ، ص ١١ .
- (٢٦٠) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ١٣ ترجمة ٢٤٨٦ .
- (٢٦١) الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ١٥٨ . وقد أورد ابن اياس بعض أبيات لهذا الشاعر سنة ٦٦٤هـ عندما أمر والى القاهرة الحرانى (يبدو أن هذا الوالى من اصول عراقية) بكسر زجاجات الخمر وحرق الحشيش (ارجع الى ابن اياس ، البدائع ، الجزء ١ ، قسم ١ ، ص ٣٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٢٨) .

- (٢٦٢) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٦١ .
- (٢٦٣) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٢٢٠ ترجمة ٢٩٦٢ .
- (٢٦٤) المصدر السابق ، الجزء ٣ ، ص ١٣٠ ترجمة ٢٧٦٧ .
- (٢٦٥) نفسه ، الجزء ٤ ، ص ٣٣٩ ، ترجمة ٤٤٤٨ .
- (٢٦٦) نفسه ، الجزء ٢ ، ص ٢٨٢ ترجمة ١٢٨٠ .
- (٢٦٧) عبد الرحمن زكى ، العلم والعلماء ، ص ١٢٧ .
- (٢٦٨) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
- (٢٦٩) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٣٣٦ ترجمة ٣٢٦٤ .
- (٢٧٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .
- (٢٧١) عبد الرحمن زكى ، العلم والعلماء ، ص ١٢٣ .
- (٢٧٢) ارجع الى ترجمة المؤلف فى مقدمة كتاب الافادة والاعتبار ، المعروف برحلة عبد اللطيف البغدادى، وعن رحلته الى مصر، وانظر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب ، طبعة ١٩٨٧ ، ص ٢١٩ .
- وارجع الى ترجمة السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٥٩ عن عبد اللطيف البغدادى .
- (٢٧٣) اليونينى ، ذيل مرآة الزمان ، الجزء ٢ ، ص ١٨٠ .
- (٢٧٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٢٠ .
- (٢٧٥) الكتبى ، عيون التواريخ ، الجزء ٢١ ، ص ٢٥ .
- (٢٧٦) الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ١٥٨ - ابن اياس ، بدائع الزهور الجزء ١ ، قسم ، ، ص ٤٣٨ .
- (٢٧٧) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٤ ، ص ٥٤ .

- (٢٧٨) المصدر السابق ، الجزء ٥ ، ص ٨٢ ترجمة ٤٧١٠ .
- (٢٧٩) السيوطي ، حسن المحاضرة ، الجزء ١ ، ص ٢٦٠ .
- (٢٨٠) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ١٣٠ ترجمة ٢٧٦٧ .
- (٢٨١) السيوطي ، حسن المحاضرة الجزء ١ ، ص ٢٥٩ .
- (٢٨٢) ابن حجر ، الدرر ، الجزء ٣ ، ص ٢٨١ .
- (٢٨٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ، الجزء ٦ ، ص ٤٢ .

وقد اشتهرت كل من مصر والعراق في العصر الاسلامي في الطب والمنطق والعلوم العقلية الاخرى ، ومن اشهر اطباء العراق في القرن

السادس الهجري صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني البغدادي الطبيب المتطبيب الذي كانت له معرفة تامة بالمنطق والفلسفة وأنواع الحكمة المختلفة ، وقد توفي ببغداد سنة ٥٩١ هـ ، وعبد السلام بن

عبد القادر بن حنكي البغدادي الحكيم الذي عاش طويلا بعد سنة ٥٨٩ هـ . ومن اطباء العراق في القرن السابع الهجري صاعد بن يحيى بن توما النصراني البغدادي الذي اشتهر بكفاءته وحسن علاجه وتوفي في بغداد سنة ٦٢٠ هـ ، وعلى بن احمد بن علي الشهير بابن الهبل الطبيب ، ولد ببغداد ودرس فيها الطب والادب ثم رحل الى الموصل وخلاط وله كتاب في الطب سماه المختار يقع في اربع مجلدات ، وتوفي بالموصل سنة ٦١٠ هـ ، وهبة الله بن ملكا اليهودي الطبيب في بغداد وكان خبيرا الى جانب الطب بعلوم الاوائل ، وله كتاب اسمه المعتبر ودرس المنطق والطبيعي والالهي ، وابن ابي البقاء بن ابراهيم الطبيب النصراني البغدادي ، الذي عرف بابن البيطار ، وكان متخصصا في تطبيب النساء ، توفي ببغداد سنة ٦٠٨ هـ (ارجع الى جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، طبعة مؤسسة الخانجي بمصر ص ٢١٤ ، ٢٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ولزيد

من التفاصيل عن أطباء العراق وحكمائه ارجع لنفس المصدر ، ص

٢٤٠ ، ٢٩٤ ، ٤٠٧ ، ٣٣٢ ، ٣٦١ ، ٤٠٣) .

ومن أطباء مصر في عصر الاخشيديين نسطاس ، وفي العصر الفاطمي على بن رضوان الطبيب الذي كان متخصصا الى جانب الطب في المنطق والفلك ، وله كتاب في احكام النجوم ، وكتاب آخر في ترتيب كتب جالينوس في الطب . ومن اطباء مصر في القرن السادس الهجري سلامة بن رحمون اليهودي المصري الذي كان حيا في حدود سنة ٥١٠ هـ وكان من المتخصصين في علم المنطق والفلسفة الطبيعية والالهية . ومن حكماء مصر في اواخر القرن السادس الهجري علوي الدير من البلاصى شمالى قوص . وكان من علماء المنطق والفلك . توفى سنة ٥٩٥ هـ ، ولزيد من التفاصيل ، ارجع الى القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٤٤ ، ٢٠٩ ، ١٣٧ .

(٢٨٤) انظر ترجمته ومؤلفاته . في ابن جليل ، المصدر السابق ، ص

١٦٥ - ١٦٨ .

(٢٨٥) ابن حجر ، الدرر ، ج ٣ ص ١٣ ترجمة ٢٤٨٦ .

(٢٨٦) المنذرى ، التكملة ، ص ١٢٦ ترجمة ١٣٦٣ .

(٢٨٧) عادل الهاشمى ، الموسيقى والغناء ، مقال بكتاب حضارة العراق

ج ٩ ، ص ٥٢١ - ٥٦٨ .

(٢٨٨) هنرى جورج فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة د .

حسين نصار ، طبعة مكتبة مصر ص ١٥١ - ١٥٤ - السيد عبد العزيز

سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، طبعة مؤسسة شباب

الجامعة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ . وعن الموسيقى فى العصر العباسى ،

انظر السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس

ج ٢ ، طبعة الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ص ٦٩ - ١١٩ .

(٢٨٩) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .

(٢٩٠) عادل الهاشمى ، المرجع السابق ص ٥٣٣ .

(٢٩١) عن الموسيقى في مصر في العصر الفاطمي ، ارجع الى فارمر

المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٨ .

(٢٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٧٣ .

(٢٩٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٣ ص ٤٠ ، ابو الفدا ، المختصر

ج ٣ ص ٩٠ - ٩١ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ق ١ ، ص ١١٨ - وارجع

الى نبيل محمد عبد العزيز ، الطرب وآلاته في عصر الايوبيين والمماليك

ص ١٨ - ١٩ .

(٢٩٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٤ ص ١٠٥ - المقرئ ، السلوك

ج ١ ق ١ ، ص ٢٠٩ ، ولزيد من التفاصيل عن الغناء والطرب

زمن الايوبيين ارجع الى نبيل عبد العزيز ، المرجع السابق ص

١٦ - ٢٩ .

(٢٩٦) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢٩٧) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢٩٨) المرجع السابق ص ٢٧١ .

(٢٩٩) ابن حجر ، الدر ج ٤ ص ٢٤٥ ترجمة ١٩٧٤ ، وعن التشابه في

الفنون في الحضارة المصرية والحضارة العراقية بسبب تشابه الظروف

البيئية والمناخية والجغرافية ارجع الى حسين عليوه ، المكان والفن

الاسلامي ، مقال بمجلة كلية الاداب جامعة المنصورة ، العدد

الثاني مايو ١٩٨١م ص ٨٧ - ٩٠) ، ولزيد من التفاصيل عن

ازدهار فن الموسيقى في العصر المملوكي على الاخص زمن الظاهر

بيبرس والسلطان المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٧ - ٦٩٨ هـ)

والناصر محمد بن قلاوون الذي ارسل سنة ٧٢٨ هـ يستقدم المغنى

العراقي على بن عبد الله المارديني احد مماليك صاحب ماردين ،

والذى اشتهر بضرب العود لروعة غنائه المصحوب بالعزف ارجع الى ابن حجر ، الدرر ، ج٣ ص ١٤٩ - نبيل عبد العزيز ، المرجع السابق ص ٣٠ . وقد تولى على الماردينى هذا نيابة مصر سنة ٧٦٩ هـ .

وعن الاديب الناظم صلاح الدين الاربلى ارجع الى نبيل عبد العزيز المرجع السابق ص ٢١ .

(٣٠٠) ابن حجر ، الدرر ، ج٤ ، ص ٣٦ .

(٣٠١) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٣ ، ترجمة ٢٤٨٦ .

(٣٠٢) نفسه ، ج٣ ، ص ٣٦٦ ، ترجمة ٣٢٦٤ .

(٣٠٣) نفسه ، ج٤ ص ٥٤ ، ترجمة ٣٦٨٥ .

(٣٠٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٨ ، ص ٣٢٠ .

(٣٠٥) على ابراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٢١٤ .

(٣٠٦) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ١٧ .

(١٠٧) على ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ وما يليها .

(٢٠٨) فى ٦٤٦ هـ ارسل الملك الصالح حسام الدين بن على الى الصالحية ، واستناب الملك الصالح بدلا منه بالديار المصرية الامير جمال الدين موسى بن يغمور . وفى سنة ٦٤٧ هـ تولى الامير حسام الدين النيابة بمصر بينما توجه ابن يغمور الى الشام ليعمل نائبا بدمشق ، واستمر حسام الدين بن ابى على يتقلد نيابة السلطنة بمصر الى ان توفى الملك الصالح ، ثم تنافس معه فى الجلوس على نيابة السلطنة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابن الملك الكامل الذى كان يقيم هو الآخر عند عماته القطيبات بنات الملك العادل ابى بكر (وسمين بالقطيبات نسبة الى شقيقهن الملك قطب الدين ابن السلطان الملك العادل) .

(انظر ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ٥) فارسل حسام الدين بن على الى توران شاه الملك المعظم يدعوه للحضور من الشام ليحول بين الملك المغيـث وبين نيابة السلطنة ، وقام حسام الدين بحبس الملك المغيـث بالقلعة حتى مجيء تورانشاه الذى نقل المغيـث الى الشوبك فور وصوله الى مصر . وفى سنة ٦٤٩ هـ خرج نائب السلطنة حسام الدين بن على الارلى لاداء فريضة الحجج ، وفى سنة ٦٥١ هـ استأذن الملك المعز فى التوجه الى الشام ، وكان قد ترك نيابة السلطنة ، ورحل الى الشام ، واقتطعة المعز اقطاعا جليلا ، ولكنه عاد الى الديار المصرية فى اواخر ايامه ، وفيها توفى (اليونينى ، الذيل ج ٢ ص ٨١ - ٨٤) .

(٣٠٩) ارجع الى الجزء الاول من البحث والحاشية التى تتضمن ترجمة لبدر الدين الخازندار .

(٣١٠) ارجع الى الحواشى رقم ٥٩ ، ٦٠ من هذا البحث وهى تتعلق بمصاهرة امراء الموصل ابناء بدر الدين لؤلؤ ، لبدر الدين الخازندار

(٣١١) آق سنقر الفارقانى ، نسبة الى مدينة ميافارقين .

(٣١٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٥١ . وقد اورد ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٧٦ هذا الخبر مختصرا .

(٣١٣) ابن الفرات ، المجلد السابع ص ١٠١ .

(١١٤) المصدر السابق ص ١٠١ - ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ٢٨٠ - والاستادار ، كلمة تتكون من مقطعين ، استا ومعناها السيد ، ودار ومعناها ممسك ، والمقصود بها الذى يتولى خزانة المال (القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٧) .

(٣١٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ١٦٦ .

(٣١٦) ابن الفرات ، المجلد السابع ص ١٠١ - الكتبي ، عيون التواريخ
ج ٢١ ص ١٣٣ .

(٣١٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، قسم ١ ، ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣١٨) اليونيني ، الذيل ج ٣ ص ٢٣٥ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج
٢١ ص ١٣٣ - ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ٢٨٠ .

(٣١٩) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ١٠١ - ابن اياس ، بدائع
الزهور ، قسم ١ ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(٣٢٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣٢١) السيوطي ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٤ .

(٣٢٢) على ابراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٢٢٤ .

(٣٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣٢٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(٣٢٥) تاريخ ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٣٨ .

(٣٢٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٣٢٧) السيوطي ، حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٣٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٣٢٩) اليونيني ، الذيل ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٣٣٠) ابن الفرات ، المجلد السابع ص ٣٨ - ١٥٦ ، ابن تغرى بردى ،
النجوم ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ .

(٣٣١) الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٢١ ، ص ٣٤ .

(٣٣٢) المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(٣٣٣) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، وارجع كذلك الى الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ٦٩ - الكتبى ، عيون التواريخ ج ٢١ ، ص ٤٠٢ - ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣٤٤ .

(٣١٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .
(٣٣٥) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ١٥٦ .
(٣٣٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٨٩ .
(٢٣٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ - ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ١٩٠ .

(٣٣٨) هو على بن محمد بن سليم صاحب بهاء الدين بن الحنا ، وزير الملك الظاهر بيبرس وولده السعيد ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحبة . وقد صودر فى الدولة السعيدية ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ٦٧٧هـ . (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٨٢)

(٣٣٩) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٤١ .
(٣٤٠) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٢٧٢ .
(٣٤١) الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ٦٩ - وارجع كذلك الى ابن الفرات ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .
(٣٤٢) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
(٣٤٣) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٦٠ - الكتبى ، عيون التواريخ ج ٢١ ، ص ٨٦ .

(٣٤٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٠٤ - وقد اخطأ السيوطى فى ذكر التاريخ الذى اسند اليه فيه قضاء القضاة فى القاهرة ، اذ حدد لذلك تاريخ سنة ٤٦٦ هـ بدلا من ٥٦٦ هـ .

(٣٤٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٠ .

(٣٤٦) المنذرى ، التكملة ج٤ ، ص ٢٤٣ ترجمة ١٤٩١ .

(٣٤٧) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ١٩٠ .

(٣٤٨) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ .

(٣٤٩) نفسه ، ج٢ ، ص ١١١ .

(١٥٠) تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ، ولد سنة ٦٠٤هـ ببلدة دميرة ودرس القرآن والحديث منذ طفولته المبكرة ، وتعلم الحساب بالاسكندرية ومهر فيه . تولى فى عهد الملك الكامل وظيفة شاهد على بيت المال . ولما اعتلى الصالح ايوب دست السلطنة ، ولاه نظر الدواوين ، ثم تولى قضاء مصر سنة ٦٥٤هـ بعد عزل بدر الدين السنجارى كما هو موضح بالمتن . وفى عهد السلطان المظفر سيف الدين قطز عزل عن القضاء ، واقصى عن مناصب الدولة حتى اعادة الظاهر بيبرس الى القضاء سنة ٦٥٩هـ . وظل يتولى القضاء حتى توفى فى رجب سنة ٦٦٥هـ . وكما شرحنا فى المتن كان ابن بنت الاعز يشترك فى كثير من الاحيان مع برهان الدين السنجارى فى القضاء ، وخلف تاج الدين ولدا هو تقى الدين عمر بن بنت الاعز الذى انتهج نهج ابيه فى العمل بالقضاء ، وتقلد منصب قضاء القضاة بمصر . وتوفى تقى الدين عمر سنة ٦٨٠هـ (ابن العماد ، الشذرات ، ج٥ ، ص ٣٦٧) والى جانب عمله بالقضاء عمل عبد الوهاب (تاج الدين) بالتدريس فقد درس بالمدرسة الصالحية للطائفة الشافعية (اليونينى الذيل ، ج٢ ، ص ٣٦٩) .

وكان تاج الدين ابن بنت الاعز هو الذى اشار على شجرة الدر بأن تتزوج من عز الدين ايبك ، وهو الذى عقد بينهما ، كما كان رسول شجرة الدر لزوجها ايبك اثناء غضبهما (ارجع فى ذلك الى ابن اياس ، البدائع ، ج١ ، قسم ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٣) . ومما سبق ان

عرضناه يتضح لنا أن المنافسة على القضاء والوزارة كانت شديدة بين ابن بنت الاعز وبين القضاة والوزراء السناجرة (ارجع الى ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٤٩) وعن ابن تاج الدين بن بنت الاعز (ارجع الى ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٨ ، ص ١١٠ وارجع ايضا الى المقرئى ، السنوك ج١ ، القسم الثالث ص ٧٧١ - ٧٧٢ - ابن العماد - شذرات الذهب ج٥ ، ٤٤٤) .

(٣٥١) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ١١١ .

(٣٥٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٣٤ ، جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٣٠ وماتلاها

(٣٥٣) الصقاعى ، تالى كتاب الوفيات ، ص ٥ - ابن الفرات ، المجلد الثامن ، ص ٤٥ - ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٢٧١ - وارجع الى ترجمة ابن خلكان فى مقدمة الجزء الاول من وفيات الاعيان .

(٣٥٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٣٥٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩١ .

(٣٥٦) نفسه ، ج١ ، ص ١٩١ .

(٣٥٧) نفسه ، ج١ ، ص ٢٢١ .

(٣٥٨) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٣٤٨ ، وارجع كذلك الى ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٧٣ - تاريخ ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ٧٤ .

(٣٥٩) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٤٢٨ .

(٣٦٠) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١١ .

(١٦١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٥٦ - السيوطي ،
حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ض ١٢٤ - ابن تغري بردي ، النجوم ،
ج ٧ ، ص ١٣٥ ج ٨ ص ٢٧٨ - ابن اياس ، ج ١ ، قسم ١ ، ص
٤٠٢ .

- (٣٦٢) ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ض ٣٢٦ .
- (٣٦٣) ابن حجر العسقلاني ، الدرر ، ج ٣ ، ص ٣٣ ترجمة ٢٥٢٨ .
- (٣٦٤) ابن الفرات ، المجلد الثامن ، ص ٨ - ابن اياس ، بدائع الزهور
ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٤٨ وعن مؤامرتة ضد الاشرف خليل انظر ابن
تغري بردي ، النجوم ج ٨ ص ٢٢ .
- (٣٦٥) ابن حجر ، الدرر ، ج ٣ ، ص ٩١ ترجمة ٢٦٧٨ .
- (٣٦٦) المقرئزي ، السلوك ج ١ ص ٦٤٣ .
- (٣٦٧) ابن الفرات ، المجلد السابع ، ص ١٤٦ .
- (٣٦٨) المصدر السابق ، المجلد السابع ، ص ٢٧٧ وفي احداث ٦٨٧ هـ ،
ص ٨٩ .
- (٣٦٩) ابن اياس ، البدائع ، ج ١ قسم ١ ، ص ٤٢٧ .
- (٣٧٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٤ ، ض ١٧٩ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية

ابن الأثير (عز الدين على بن أحمد بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ .

الجزآن ١١ ، ١٢ ، بيروت ، ١٩٦٦

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى) : بدائع الزهور فى

وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، القاهرة ،

١٩٥١

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى) : رحلة

ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار

وعجائب الاسفار ، دار صادر - بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) : النجوم

الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة من طبعة

دار الكتب المصرية ، القاهرة

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلنى) : رحلة ابن جبير ،

تحقيق وليم رايت ، ليدن ، ١٩٠٧

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ

والخبر ، طبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .

ابن خلدون : المقدمة لكتاب العبر ، طبعة بيروت ، ١٩٦٧

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) : وفيات الاعيان

وانباء ابناء الزمان ، تحقيق دكتور احسان عباس ،

بيروت .

ابن سعيد الاندلسي (أبو الحسن على) : المغرب في حلى المغرب ،
الجزء الاول من القسم الخاص بمصر ، تحقيق الدكتور
زكى محمد حسن والدكتور شوقى ضيف والدكتورة سيدة
كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل) : زبدة كشف الممالك ،
وبيان الطرق والمسالك ، نشره بول رافيس Paul Ravaisse
باريس ، ١٨٩٤ .

ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع) : النوادر السلطانية والمحاسن
اليوسفية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ،
١٩٦٤ .

أبن العماد الحنبلي (عبد الحى بن أحمد) : شذرات الذهب في اخبار
من ذهب ، ج ٦ ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ،
تحقيق الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٨ ، ٩ ، بيروت ،
١٩٣٨ .

ابن الفوطى (كمال الدين عبد الرازق بن أحمد الشيبانى) : تلخيص
مجمع الاداب فى معجم الألقاب ، تحقيق الدكتور مصطفى
جواد ، ج ٤ ، دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧ .

ابن القلانسي (أبو يعلى جمزة بن أسد القميمي) : ذيل تاريخ دمشق ،
بيروت ، ١٩٠٨ .

ابن كثير الدمشقى (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : البداية والنهاية
فى التاريخ ، ج ١٢ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

ابن فماتش (الأسعد شرف الدين أبو المكارم بن أبي سبيح) : كتاب
قوانين الدواوين ، نشر وتحقيق الدكتور عزيز سوريال
عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سيالم الحموي) : مفرج الكروب في
اخبار بني أيوب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣

ابن الوردي (زين الدين عمر) : تكملة المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ،
القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي) :
كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ، جزآن ، تحقيق
الدكتور محمد حلمي أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦

أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) : المختصر في اخبار البشر ، صيدا ،
١٩٥٩ .

الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) : دول الاسلام :
طبعة الهند ، ١٣٦٥ هـ .

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ،
مصر ، ١٣٢٤ هـ

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : حسن المحاضرة
في اخبار مصر والقاهرة ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٤٧ ،
ونسخة ، طبعة مصطفى فهمي الكتبي بمصر .

السيوطي : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الامة ، دار
التراث ، بيروت ، ١٩٦٩

السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد) : عوارف المعارف ، دار
الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٦

الصقاعى (فضل الله بن أبى الفخر) : تالى كتاب وفيات الاعيان ،
تحقيق جاكين سوبله ، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق،
دمشق ، ١٩٧٤

العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر) : الدرر الكامنة فى اعيان
المائة الثامنة ، تحقيق الاستاذ محمد سيد جاد الحق ،
القاهرة (بدون تاريخ)

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على) : صبح الاعشى فى صناعة
الانشا ، نسخة مصورة من طبعة القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٥ ،
مجموعة تراثنا .

القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف) : تاريخ الحكماء ،
نشره ليبيرت ، J.Lippert ، ليبزج ، ١٩٠٣

الكاثيرونى : مقامة فى قواعد بغداد فى الدولة العباسية ، نشر كوركيس
عواد ، وميخائيل عواد ، بغداد ، ١٩٦٢

مجموعة الوثائق الفاطمية ، جمع وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال،
القاهرة ، ١٩٥٨

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر
الخطط والآثار ، ٣ اجزاء ، طبعة بيروت ، ١٩٥٩ .

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جزآن فى ستة اقسام ، حققهما
الدكتور محمد مصطفى زيادة ، قسم ١ ، ٢ ، القاهرة ،

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية

ابن الاثير (عز الدين على بن احمد بن ابي الكرم) : الكامل في التاريخ ، الجزآن ١١ ، ١٢ ، بيروت ، ١٩٦٦ .

ابن اياس (ابو البركات محمد بن احمد الحنفى) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٥١ .

ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى) : رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار صادر - بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠ .

ابن تغرى بردى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكى) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ابن جبير (ابو الحسين محمد بن احمد البلنسى) : رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ، ١٩٠٧ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة مصر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
« : المقدمة لكتاب العبر ، طبعة بيروت ، ١٩٦٧ . »

ابن خلكان (شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق دكتور احسان عباس ، بيروت .

ابن سعيد الاندلسى (ابو الحسن على) : المغرب فى حلى المغرب ،
الجزء الاول من القسم الخاص بمصر ، تحقيق الدكتور
زكى محمد حسن والدكتور شوقى ضيف والدكتورة سيدة
كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

ابن شاهين الظاهرى (غرس الدين خليل) : زبدة كشف الممالك ،
وبيان الطرق والمسالك ، نشره پول رافيس . Paul Ravaisse
باريس ، ١٨٩٤ .

ابن شداد (ابو المحاسن يوسف بن رافع) : النوادر السلطانية والمحاسن
اليوسفية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة
١٩٦٤ .

ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن احمد) : شذرات الذهب فى اخبار
من ذهب ، ج ٦ ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ،
تحقيق الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٨ ، ٩ ، بيروت
١٩٣٨ .

ابن الفوطى (كمال الدين عبد الرازق بن احمد الشيبانى) : تلخيص
مجمع الاداب فى معجم الالقب ، تحقيق الدكتور مصطفى
جواد ، ج ٤ ، دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧ .

ابن القلانسى (ابو يعلى حمزة بن اسد التميمى) : ذيل تاريخ دمشق ،
بيروت ، ١٩٠٨ .

ابن كثير الدمشقى (عماد الدين ابو الفداء اسماعيل) : البداية والنهاية
فى التاريخ ، ج ١٢ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

ابن مماتى (الاسعد شرف الدين ابو المكارم بن ابنى سعيد) : كتاب
قوانين الدواوين ، نشر وتحقيق الدكتور عزيز
سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم الحموى) : مفرج الكروب
فى اخبار بنى ايوب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

ابن الوردى (زين الدين عمر) : تتمة المختصر فى اخبار البشر ، ج ٢ ،
القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

ابو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى) : كتاب
الروضتين فى اخبار الدولتين ، جزآن ، تحقيق الدكتور
محمد حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل) : المختصر فى اخبار البشر ، صيدا ،
١٩٥٩ .

الذهبى (ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان) : دول الاسلام ،
طبعة الهند ، ١٣٦٥ هـ .

السبكى (تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ،
مصر ، ١٣٢٤ .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن ابنى بكر) : حسن المحاضرة
فى اخبار مصر والقاهرة ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٤٧ ،
ونسخة طبعة مصطفى فهمى الكتبى بمصر .

» : تاريخ الخلفاء-امراء المؤمنين القائمين بأمر الامة ، دار
التراث ، بيروت ، ١٩٦٩ .

السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد) : عوارف المعارف ، دار
الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٦ .

الصقاعي (فضل الله بن أبي الفخر) : تالى كتاب وفيات الاعيان ،
تحقيق جاكين سويله ، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق ،
دمشق ، ١٩٧٤ .

العسقلانى (شهاب الدين احمد بن حجر) : الدرر الكامنة فى اعيان
المائة الثامنة ، تحقيق الاستاذ محمد سيد جاد الحق ،
القاهرة (بدون تاريخ) .

القلقشندي (أبو العباس احمد بن على) : صبح الاعشى فى صناعة
الانشا ، نسخة مصورة من طبعة القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٥ ،
مجموعة تراثنا .

القفطى (جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف) : تاريخ الحكماء ،
نشره ليبيرت ، J. Lippert ، ليبزج ، ١٩٠٣ .

الكازرونى : مقامة فى قواعد بغداد فى الدولة العباسية ، نشر كوركيس
عواد ، وميخائيل عواد ، بغداد ، ١٩٦٢ .

مجموعة الوثائق الفاطمية ، جمع وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

المقريزى (تقى الدين احمد بن على) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر
الخطط والآثار ، ٣ اجزاء ، طبعة بيروت ، ١٩٥٩ .
» : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جزآن فى ستة اقسام ،
حققهما الدكتور محمد مصطفى زيادة ، قسم ١ : ٢ ،
القاهرة ، ١٩٥٦ .

المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى) : التكملة
لوفيات النقلة ، ج ٤ ، تحقيق الدكتور بشار عواد ، بغداد
١٩٧١ .

اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى) : ذيل مرآة الزمان ، حيدر
آباد ، ١٩٥٤ .

٢ - المراجع العربية والاجنبية المعربة

امين (دكتور حسين) : العراق فى العصر السلجوقى ، بغداد ، ١٩٦٥
أنور (الاستاذ سهيل) : الخطاط البغدادى على بن هلال المشهور بابن
البواب ، من مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، بغداد
١٩٥٨ .

الباشا (دكتور حسن) : الدواة والمقلمة ، بحث بكتاب القاهرة :
تاريخها ، فنونها ، وآثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

توفيق (دكتور عمر كمال) : مملكة بيت المقدس الصليبية ، الاسكندرية
١٩٥٨ .

الجميلى (دكتور رشيد صالح) : دولة الاتابكة فى الموصل بعد عماد
الدين زنكى ، بغداد ، ١٩٧٠ .

حسن (دكتور زكى محمد) : الفنون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٤٩
حسن (دكتور على ابراهيم) : دراسات فى عصر المماليك البحرية ،
القاهرة ، ١٩٤٢ .

حسين (دكتور حمدى عبد المنعم محمد) : دولة بنى برزال فى قرمونة ،
الاسكندرية ، ١٩٩٠ .

حميد (د. عبد العزيز) : التحف المعدنية ، من كتاب حضارة
العراق ، المجلد التاسع ، بغداد ، ١٩٨٥ .

الديوه جى (أستاذ سعيد) : صناعة الموصل ، مجلة سومر ، بغداد ،
١٩٥١ .

» : الموصل في العهد الاتابكي ، بغداد ، ١٩٥٨

» : اعلام الصناع المواصلة ، بغداد ، ١٩٧٠ .

داود (د . فريال مختار) : المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح
العربي حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد ، رسالة
ماجستير ، مقدمة الى جامعة بغداد ، اشراف دكتور
احمد فكرى (بدون تاريخ) .

ديماند : الفنون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٤ (ترجمة أحمد عيسى)

زكى (دكتور عبد الرحمن) : العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية ،
مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدير ، المجلد
١٥ ، مدير ، ١٩٧٠ .

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في
العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : التاريخ والمؤرخون العرب ،
الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

» : تاريخ مرسية موطن الشيخ أبى العباس المرسى ، مجلة
جمعية الآثار بالاسكندرية .

» : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٥

» : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، الاسكندرية ، ج ٢ ،
١٩٨٢ .

سالم (دكتور حلمى محمد) : اقتصاد مصر الداخلى وانظمتها في العصر
الملوكى ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ .

سعداوى (دكتور نظير حسان) : نظام البريد فى الدولة الاسلامية ،
القاهرة ، ١٩٥٣ .

» : التاريخ الحرى المصرى فى عهد صلاح الدين الايوبى ،
القاهرة ، ١٩٥٧ .

سلام زناى (دكتور محمد زغلول) : الادب فى عصر صلاح الدين
الايوبى ، الاسكندرية ، ١٩٥٩ .

سلمان (استاذ عباس) : مخطوطتان مزوقتان من القاهرة ، مجلة
سومر ، ١٩٧٥ .

الشيال (دكتور جمال الدين) : تاريخ مصر الاسلامية ، جزآن ،
الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

» : اعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٥
عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ، ج ١ ، القاهرة ،
١٩٦٣ .

العبادى (دكتور احمد مختار عبد الفتاح) : قيام دولة المماليك الاولى
فى مصر والشام ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

عبد الحميد (دكتور سعد زغلول) : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها
الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين السادس والسابع
الهجرى ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد
٨ ، ١٩٥٤ .

عبد العال (دكتور محمد) : اضواء جديدة على احياء الخلافة
العباسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

عبد المولى (د. محمد احمد) : العيارون والشطار البغاددة فى التاريخ
العباسى ، الاسكندرية ١٩٨٧ .

عبد العزيز (دكتور نبيل محمد) : الطرب وآلاته فى عصر الايوبيين
والمماليك .

العرينى (دكتور السيد الباز) : مصر فى عصر الايوبيين ، بيروت ،
١٩٦٧ .

العزاوى (دكتور عباس) : خط المصحف الشريف ، مجلة سومر ، مجلد
٤٣ ، بغداد ، ١٩٦٧ .

» : الخط ومشاهير الخطاطين فى الوطن العربى ، مجلة
سومر ، مجلد ٣٨ ، بغداد ، ١٩٨٧ .

علام (دكتورة نعمت اسماعيل) : فنون الشرق الاوسط فى العصور
الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

العبيدى (د. صلاح حسين) : التحف المعدنية الموصلية فى العصر
العباسى ، بغداد ، ١٩٧٠ .

عليوة (دكتور حسن) : الخط ، بحث فى كتاب القاهرة : تاريخها ،
فنونها وآثارها ، طبعة مؤسسة الاهرام القاهرة ، ١٩٧٠ .

» : المعادن ، بحث بكتاب القاهرة : تاريخها ، فنونها ،
وآثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

» : المكان والفن الاسلامى ، مجلة كلية الآداب جامعة
المنصورة ، العدد الثانى .

» : دراسة لبعض الصناعات والفنانين بمصر فى عصر المماليك ،
مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة ، ١٩٧٩ .

» : كرسى الناصر ، بحث فى كتاب القاهرة : تاريخها ، فنونها
آثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

» : محمد بن سنقر ، بحث فى كتاب القاهرة تاريخها ، فنونها
آثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

فهد (دكتور بدرى محمد) : تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير ،
بغداد ، ١٩٧٣ .

فهمى (دكتور عبد الرحمن) : العمارة قبل عصر المماليك ، بحث فى
كتاب القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، القاهرة ،
١٩٧٠ .

» : النسيج ، بحث فى كتاب القاهرة : تاريخها ، فنونها ،
آثارها ، القاهرة ١٩٧٠ .

فارمر (هنرى جورج) : تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة دكتور
حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

لويس (برنارد) : النقابات الاسلامية ، ترجمة دكتور عبد العزيز
الدورى ، مجلة الرسالة ، العدد ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، لسنة
١٩٤٠ .

ماهر (دكتورة سعاد) : الفنون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٦

النقشبندى (دكتور اسامة ناصر) : الخط والكتابة ، بحث بكتاب
حضارة العراق ، المجلد التاسع ، بغداد ، ١٩٨٥ .

» : الورق والكاغذ ، بحث بكتاب حضارة العراق ، المجلد
التاسع .

نيكلسون : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة «آتا» .

الهاشمى (دكتور عادل) : الموسيقى والغناء ، بحث فى كتاب حضارة
العراق ، المجلد التاسع ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٣ - المراجع الاجنبية

Benjamin de Tudela, Viajes de Benjamin de Tudela, Madrid, 1918.

Idris (Hady Roger) : Les Birzalides de Carmona, R. al-Andalus, Vol. XXX, 1965.

Répertoire Chronologique d'Epigraphie arabe, le Caire, 1934, 1936.

Rico (D.S.) : Inlaid Brasses From workshop of Ahmed al - Dhak al Mawsili, Ars Orientalis, Vol. 2

Rousset, Histoire des Croisades, Paris, 1957.

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

العراقيون في مصر في القرن السابع الهجرى

واسهاماتهم في حضارة مصر الاسلامية

رقم الصفحة

المقدمة

دراسة عامة لموضوع البحث ٢٢ - ١

اولا - العراقيون واسهاماتهم في المجال الاقتصادى ٢٢

(١) الصناعة ٢٢

١ - الصناعات المعدنية ٢٢

ب - الخط في القرن السابع الهجرى والصناعات المرتبطة به ٣٠

ج - صناعة النسيج ٣٧

(٢) اسهام العراقيين في الحركة التجارية بمصر في القرن السابع الهجرى ٣٩

ثانيا - اسهامات العراقيين في مصر في الحياة العلمية ٤٥

(١) العلوم الدينية والتصوف

١ - الفقه والحديث وعلوم القرآن ٤٥

ب - التصوف ٥٠

(٢) الادب والشعر والعلوم اللغوية ٥٦

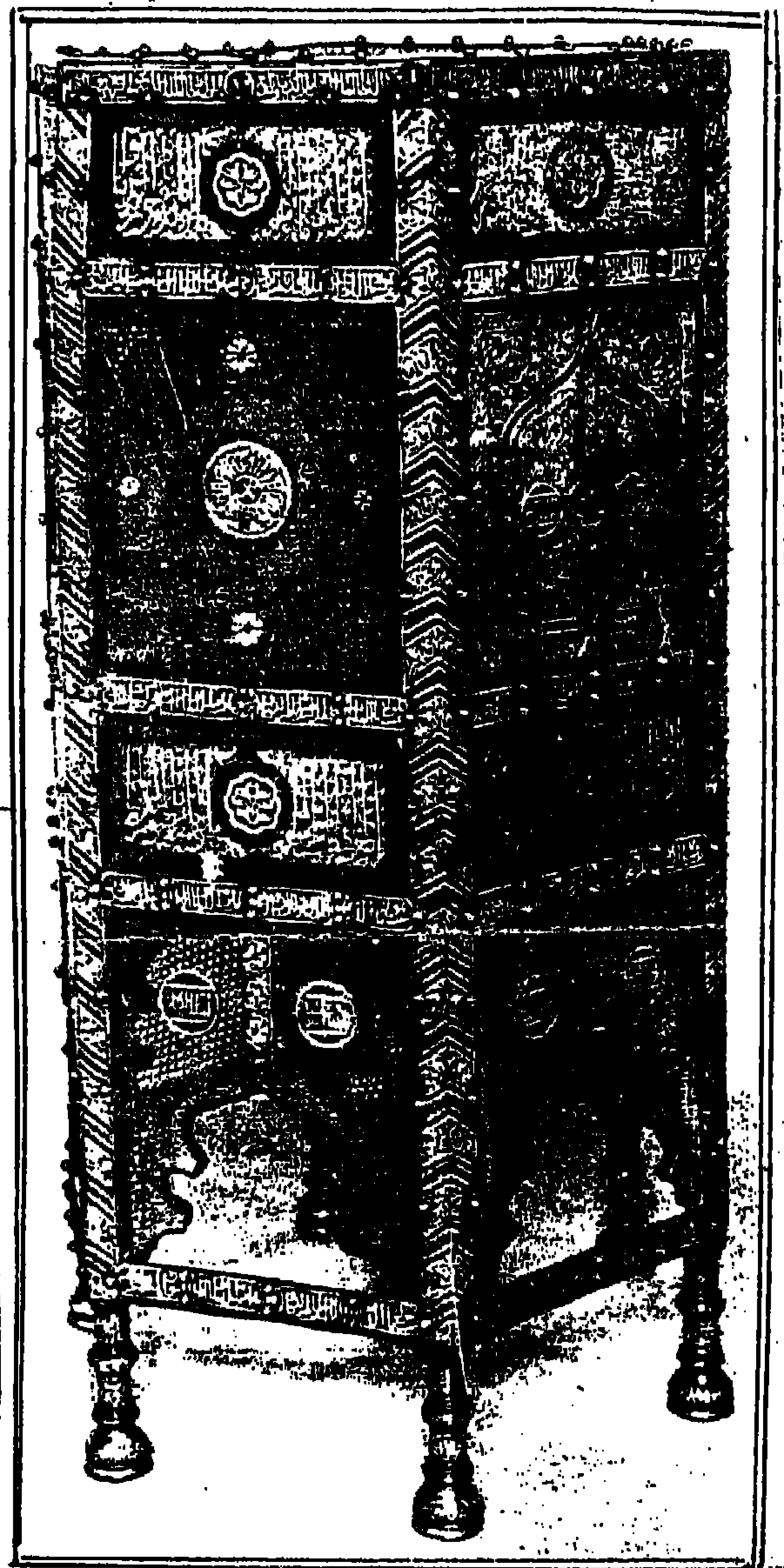
(٣) العلوم العقلية ٦٠

١ - علم دراسة المعادن والاحجار الكريمة ٦٠

ب - الطب ٦٠

رقم الصفحة

- ج - المنطق والمعقولات ٦٣
- ثالثا - استخدام بعض العناصر العراقية في الجهاز الادارى ٧٠
- والجيش في مصر في القرن السابع الهجرى ٧٠
- ١ - نيابة السلطنة ٧٠
- ب - الوزارة ٧٣
- ج - القضاء ٧٨
- د - مناصب ادارية اخرى تولاها العراقيون بمصر ٨٣
- الحواشى ٨٧ - ١٣٦
- قائمة المصور الفوتوغرافية



كرسى مخصص لمائدة الطعام من النحاس
صناعة محمد بن سنقر البغدادي
يرجع تاريخه الى سنة ٧٢٨ هـ



شمعدان من النحاس من القرن الثامن الهجرى
صناعه الموصل محفوظ بمتحف جامعة فيلادلفيا



ابريق من النحاس الاصفر المكفت بالفضة
صناعه الموصل محفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك



طست من النحاس الاصفر المكفت بالفضة
يحمل كتابة تشير الى انه من عمل علي بن
حمود الموصلى - صناعه الموصل سنة ٦٧٣ هـ

رقم الايداع ٥١٦٠ / ١٩٩٠

IS.B.N.

977 - 212 - 000 - 3

